الجمهورية العربية المتحدة
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رسالة
إلى الجندي العربي
عن كتاب
عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير
للإمام ابن سيد الناس

قام بتحقيق المغازي وتوضيح أصولها وخططها
وشرح أحداثها من وجهة النظر الحربية الحديثة
الأستاذ السيد فرج



القاهرة
١٣٨٧هـ — ١٩٦٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

« أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُم ظُلِمُوا وإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا من دِيارهم بغير حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ ولولا دَفْعُ اللهِ الناسَ بَعضَهُم ببعضٍ لَهُدِّمَتْ صوامِعُ وبِيَعٌ وصَلَوَاتٌ ومساجدُ يُذْكَرُ فيها اسمُ اللهِ كثيراً ولَيَنصُرَنَّ اللهُ مَنْ ينصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عزيزٌ ».

« ٣٩ ، ٤٠ م سورة الحج ٢٢ »

« وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ من قُوَّةٍ وَمِنْ رباطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عدُوَّ اللهِ وعَدُوَّكُم وآخرينَ من دُونِهِم لا تعلمونَهُمُ اللهُ يعلَمُهُمْ وما تُنْفِقُوا من شيءٍ في سبيلِ اللهِ يُوفَّ إليكم وأنتم لا تُظْلَمُونَ . وإن جَنَحُوا للسَّلْم فاجْنَحْ لها وتوكَّلْ على اللهِ إنه هُو السميعُ العَلِيمُ » .

« ٦٠ ، ٦١ م سورة الأنفال ٨ »

فِكْرَةُ الكِتَابْ

التقيت بهذا الأثر النفيس « عيون الأثر » بين ضفتي مجلدات مخطوطة فى مكتبة المخطوطات بدار الكتب بالقاهرة ، وقد وسم بعنوان :

« عيون الأثر ، فى فنون المغازى والشمائل والسير »

للامام العلامة ابن سيد الناس « ٦٧١ ــ ٧٣٤ هـ»

وبالبحث والتقصى وقفت على نسخ أخرى ليس بينها خلاف يذكر .

وقد أمضيت أياما عديدة مع ابن سيد الناس فى كتابه هذا بين عشرات من كتب التاريخ والسير فألفيته نثرها جميعا أمام ناظريه واستعرض خططها ومناهجها ، ثم أعمل فكره وشحذ عزيمتـه واستعان بملكاته ومواهبه واستطاع أن يضع سيرته هذه الجليلة، فتقف وسطا بين المختصرات والمطولات ، لا يشتكى منها قصر ولا طول .

ولقد نظرى بصفة خاصة عناية هذه السيرة بموضوع المغازى فقد احتوت جميع الطلعات والمعارك منذ أن أذن الله لنبيه صلى

الله عليه وسلم فى القتـال ، وقد رتب ونظمت بطريقة موفقــة وصيغت وقدمت بأسلوب يغلب عليه التروى والاعتدال .

تلقى نبى الاسلام صلوات الله عليه أمر ربه ليدعو النــاس كافة الى دين الله يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . وقوبلت الدعوة بالصد والعدوان الا من أضاء الله بصيرته وشرح صدره للاسلام . وقد تعرض المؤمنون للظلم والطغيــان فحوربوا فى أهليهم وأقواتهم وأخرجوا من ديارهم ، فأذن الله للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير .

ومن هنا بدأت سلسلة من أحداث الجهاد وعمليات القتال بين المؤمنين والمشركين تنوع ساحاتها وتختلف صــورها وتتطور خططها ، ويميل ميزانها مع هذا الفريق مرة ومع الفريق الآخر مرة أخرى حتى كتب الله لعباده النصر المؤزر والفتح المبين

وما كانت المغازى كلها موفورة النجاح مكللة بالنصر بل منى بعضها بالخسران ، ولقى المجاهدون الهزيمة فى أكثر من معركة وتحملوا مشاق الحرب ومرارة الحصار وآلام الجوع والعطش ، وتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم للرمى والطعن وســال دمه الطاهر

ولكن هذه المغازى كانت تتسم بدقــة التنظيم وتيسير سلامة التخطيط فلم تكن مرتجلة أو تلقائية تسيرها الظروف والأحداث المحتملة . وانما سارت منذ بدايتها على أصول معقولة واعتبارات

مدروسة ، ومع مضى الأيام ونعــدد الساحات وتطور الأساليب وازدياد عدد الجنود واتساع دائره القتال كانت أدمغة القاده تعمل وتجاربهم تنضج وحاستهم الحربية تزدهر ، فظهر كثير من المبادىء التى لا مفر من التزامها لبلوغ النصر ، كما رسخت آداب ونظم فى داخلية الجيوش صارت بمثــابة تقاليد لا مندوحة عن اتباعهــا والتشدد فيها لكى يكتمل نظام الجيش ويسلم كيانه وتصلح أدواته.

* * *

اليوم ، فى جميع عواصم العالم ، تدرس الكليات العسكرية التاريخ الحــربى ومبادىء الحرب ، كما تقــدم أيضا دراســات مطوره فى النظم والتسليح والتوجيه المعنوى ، ولا ريب أن الجانب المتصل بالأهل والوطن من هذه الدراسات يحظى بالجانب الأكبر من العنايه ، فالتاريخ الحربى لكل بلد هو مــادة أساسية فى معارف أبنائه ، ودراسه أصيلة يتلقــاها رجال الجندية حتى ترسخ فى أعماقهم تجارب الماضى وأمجاد السلف .

ومن تجارب ماضينا وأمجاد سلفنا هذه السيرة الجليله ، وهى تحدث بما كان عليه جنود الاسلام من ايمان بدينهم ورســالتهم وأهدافهم ، وما كان لهم فى الحرب من مزايا وصفات مكنت لهم من أعنة القتال وألوية النصر ، فالعرب كانوا يعملون فى الحرب بمبــادىء ونظم ومثل ، فابتدعوا الخطط وابتكروا الأســاليب ومارسوا « أصول الحرب » قبل أن يصنعها نابليون بمئــات

السين ، ووضعوا نظم الجيوش الداخلية وآداب الجندية ، كما ضربوا فى الاقدام والبسالة والتضحية أروع الأمثال .

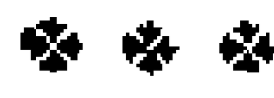
* * *

ولكى نقدم أمثلة للموضوعات المختلفة ـ مما سيطلع عليه القارىء مفصلا فى هذا الكتاب ـ نأخذ ـ على سبيل المثال ـ مبدأ من مبادىء الحرب ، وهو «الوقاية» : تحدثنا المغازى أن العرب كانت تدفع طليعة أمام الجيش ، هى العيون التى تنصبد أخبار العدو وتكشف خططه وتحمى القوة الرئيسية من المفاجأة، وهذا أحد المبادىء الرئيسية الثمانية التى تدرسها المعاهد العسكرية اليوم .

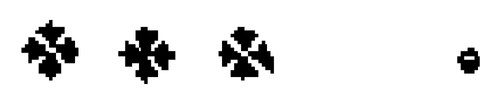
وفى اختيار الوقت الملائم للعمليات تحدثنا المغازى أن العرب كانوا يمارسون « العمليات الليلية » ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « وادرعوا الليل فانه أخفى للويل » فكانت بعض السرايا تكمن النهار وتسير الليل ، وذلك تفاديا لحرارة الجو ، ووقاية من نظر العدو فضلا عن أن ذلك التحرك الليلى يمهد لمفاجأة العدو حين يقع عليه الهجوم بغتة وعلى حين غرة.. واليوم تهتم الجيوش بالتدريب على العمليات الليلية .

وفى آداب الجندية تحدثنا المغازى عن الأسلوب الذى يجمع بين الاقدام والشجاعة فى حديث القادة مع نبيهم وقائدهم الأعلى ،

وعن أسلوب القائد مع صحابته حين يبسط أمــامهم الموضوعات ويشاورهم فى الأمر ، وعن صدوع الجندى بالأمر فى الحال ولو كلفه حياته ، وعن احترام سلسلة القــادة حتى لا يكون تردد أو التـــواء .



وهكذا لا نكاد نحيط بشأن هام من شئون الحرب الحديثة الا وجدنا له أصلا فىتاريخنا العربى الحافل ، ولانكاد نستعرض صفات ومزايا القادة العظام حتى نلفاها أصيلة مستوفاه فى عدد منقادة الاسلام كخالد بنالوليد وأبى عبيدة وعمرو بن العاص، ولانكاد نلتقى بموضوع منموضوعات التنظيم الداخلىللجيوش والمعسكرات وشئون « الضبط والربط » الا وجدنا له سابقة فى سيره هؤلاء النفر الغر الميامين الذين خرجوا من دائرة صغيرة فى البادية الــكبيرة وســرعان ما التأم جمعهم وانتظم صــفهم وجد خطوهم الى أرض فارس فأدالوا دولة الأكاسره ،والى أرض الروم فقهروا دولة القياصرة ، وسيطروا على ميادين المعارك فى زمانهم ، ورفعوا رايه العروبة والاسلام من الخليج الى المحيط .



ان هذه الصفحات المجيدة التى خطتها سيوف العرب وأهدتها الى الأجيال جديره بأن نحتفل بها ونقبــل عليها ونعتز بملكيتها

ونضعها نصب أعيننا ، وما هذه الدراسة — كما أرجو — الا فاتحة للموضوع الكبير الذى نرتقب أن تتحرك له الأفهام وتنشط من أجله العزائم وتوضع لتحقيقه البرامج لكافة المستويات ، فيبعث هذا التراث الغالى ونقدم الى شباب الاســلام والعروبة يقتاتون منه ويتمثلون به ، ويجدون أن لهم عزوه وأن وراءهم أمجادا .

* * *

ان هذا الجيل الذى يشهد انبعاثة القــومية العربية من المحيط الى الخليج سوف يصل ماضيه بحاضره . ويضاعف خطواته فى ركب الزحف المقدس الى الحرية والعزة والكرامة .

ولله در شوقى الذى وجه لشباب العروبة قوله المأثور :

حب الساده فى شمائل دينكم　　والجــد روح منه والاقــدام
لو تقرئون صــغاركم تاريخه　　عرف البنون المجد كيف يرام

السيد فرج

هذا الكتاب

هذا الكتاب من أمهات كتب السير ، ألفه أحد أعلام المعارف والبيان الامام «فتح الدين أبو الفتح المشهور بابن سيد الناس(١)» ولد بالقاهرة سنة ٦٧١ هـ وتوفى فى سنة ٧٣٤ هـ وكان من الثقاة الضالعين فى الفقه والحديث وعلم السير والتاريخ ، أخذ العلم عن

(١) قال عنه السيوطى فى « ذيل طبقات الحفاظ للذهبى »
الامام العلامة المحدث الحافظ الأديب البارع أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن محمد بن محمد بن أبى القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن سيد الناس بن أبى الوليد بن منذر بن عبد الجبار بن سليمان اليعمرى الاندلسى الأصل المصرى . ولد فى ذى القعدة سنة احدى وسبعين وستمائة ، وسمع من غازى والعز وخلائق نحو الألف ولازم ابن دقيق العيد وتخرج عليه وأعاد عنده وكان يحبه ويثنى عليه ، وأخذ العربية عن البهاء بن النحاس وكتب الخط المغربى والمصرى فأتقنهما وكان احد الأعلام الحفاظ امامًا فى الحديث ناقدًا فى الفن خبيرًا بالرجال والعلل والأسانيد عالمًا بالصحيح والسقيم له حظ من العربية ، حسن التصنيف صحيح العقيدة أديبًا شاعرًا بارعًا مفتنًا فى البلاغة ناظمًا ناثرًا مترسلا ، ولى درس الحديث بالظاهرية وغيرها وصنف السيرة الكبرى والصغرى وشرح الترمذى لم يكمله فأتمه الحافظ أبو الفضل العراقى . مات فى شعبان سنه اربع وثلاثين وسبعمائة ولم يخلف فى مجموعه مثله .

والده وتتلمذ على كثيرين من علماء زمانه وظهرت له مؤلفات عديدة امتازت بدقة الوصف وجوده الصياغة وحسن التعبير ، وكان حافظا عجيبا وراوية بارعا وشاعرا أديبا .

قال المؤلف فى تقديم كتابه :

« لما وقفت على ماجمعه الناس قديما وحديثا من المجاميع (١) فى سير النبى صلى الله عليه وسلم ومغازيه وأيامه الى غير ذلك

---

(١) انشأ المؤلف فصلا عن الأسانيد التى رجع اليها فى تأليفه تحت عنوان

« ذكر الاسانيد التى وقعت لى مع المصنفين ، الذين أخرجت من كتبهم فى هذا المجموع ما أخرجته » .

صحيح البخارى ـ صحيح مسلم ـ سنن أبى داود ـ الجامع لأبى عيسى الترمذى ـ سنن أبى عبد الرحمن النسائى ـ سنن ابن ماجه ـ السيرة النبويه عن ابن اسحق ـ المغازى : عن موسى ابن عقبه ـ المغازى : عن أبى عبد الله محمد بن عائذ القرشى الكاتب ـ الطبقات الكبرى عن محمد بن سعد .

وعن أبى القاسم سليمان بن احمد « الطبرانى » ـ عن أبى يعلى الموصلى ـ وعن أبى بكر الشافعى (الفوائد المعروفة بالغيلانيات) وعن أبى عروبة الحسين بن أبى معشر الحرانى ـ وعن أبى الحسين ابن جميع الغسانى وعن أبى عمر (كتاب الدرر فى اختصار المغازى والسير) .

وعن أبى محمد عبد الله بن علـى الرشـاطى من كتـابه فى « الانساب » وعن القاضى عياض فى كتابه « الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم » وعن أبى القاسم السهيلى (الروض الأنف)

مما يتصل به لم أر الا مطيلا مبلا أو مقصرا بأكثر المقاصد محلا،
والمطيل اما معنى بالأسماء والأنساب والاشعار والآداب أو آخر
بأخذ كل مأخذ فى جميع الطرق والروايات ، ويصرف الى ذلك
ما تصل اليه القدرة من العنايات . والمقصر لايعدو المنهج الواحد
ومع ذلك فلابد وأن يترك كثيرا مما فيه من الفوائد وان كانوا
رحمهم الله هم القــدوه فى ذلك . ومما جمعوه يستمد من أراد
ما هنالك . فليس لى فى هذا المجموع الا حسن الاختيــار من
كلامهم والتبرك بالدخول فى نظامهم » .



أصل المخطوط

على الصفحة المقابلة أصل الصفحة الأولى من المخطوط المحفوظ بدار الكتب بالقاهره وعمره الآن ٥٦٦ سنة وبدو الخط جميلا والورق مصقولا برغم ما أحدثته يد الزمن فمسحت على كثير من الحروف وأحدثت عدة ثغرات تعب فيها جهود الاخصائيين فى الترميم .

وقد جاء بأعلى الصحيفة :

« كتاب عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير . سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم تأليف الشيخ الامام الحافظ المتقن البارع العلامة محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله ابن محمد الشهير بابن سيد الناس اليعمرى الربعى رحمه الله ورضى عنه » .

وفى أسفل الصفحة ختم وقف تيمور الذى انتهى اليه هذا المخطوط قبل أن ينتقل مع مقتنيات مكتبة تيمور الى دار الكتب بالقاهرة .

وعلى الصفحة أيضا تعليقات كتبها بعض القراء أو المراجعين فى أعوام ١١٥٧ و ١٢٥٤ .

الغساني فمن بعده وقد قرأته على الشيخ أبي حفص عمر بن عبد المنعم بن عمر بن القواس بعربيل ظاهر دمشق
بحق إجازتها أخبركم القاضي أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الحرستاني حضورًا في الرابعة سنة تسع وستمائة قال
أنا جمال الإسلام أبو الحسن علي بن المسلم بن محمد السلمي أنا الحسين بن أحمد بن طلاب الخطيب عنه وما كان فيه
عن أبي عمر فمن كتاب الدرر في اختصار المغازي والسير له وهو مما رويته عن والدي رحمه الله عن شيخه
أبي الحسن محمد بن أحمد بن السراج عن خاله أبي بكر بن خير عن أبي الحجاج الشنتمري عن أبي علي الغساني عنه وما كان فيه
عن أبي محمد عبد الله بن علي الرشاطي فمن كتابه في الأنساب وأنا به والدي عن أبي الحسين بن السراج إجازة قال
أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبيد الله الحجري إجازة إن لم يكن سماعًا قال أنا الرشاطي قراءة عليه
وما كان فيه عن القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي فمن كتابه المسمى بالشفا بتعريف حقوق
المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد سمعته كاملًا بقراءة والدي رحمه بمصر على القاضي الإمام علم الدين أبي الحسن محمد
ابن الشيخ الإمام جمال الدين أبي علي الحسين بن عتيق بن رشيق في سنة سبع وسبعين وستمائة قال أنا
الإمام أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني سماعًا عليه سنة تسع وستمائة قال أنا الإمام أبو عبد الله محمد
ابن عبد الله بن محمد بن عيسى التميمي إجازة أنا القاضي عياض سماعًا وما كان فيه عن الأستاذ أبي القاسم السهيلي
فمن روايتي عن والدي رحمه قال أنا الشيخ الراوية الزاهد أبو الحسين محمد بن أحمد بن السراج إجازة إن لم يكن
سماعًا وقد سمع عليه الكثير بقراءة والدي به قال قرئ كتاب الروض الأنف والمشرع الروى على أبي القاسم
عبد الرحمن بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي مصنفه من أوله إلى آخره مرتين وأنا أسمع ومن كلامه هذا أثبت
ما ثبت عندهما وربما أثبت فوائد في الفصول المتعلقة بشرح الأخبار السابقة لها وما اشتمل
عليه من الغريب من فوائد التقطتها بخط جدي أبي بكر محمد بن أحمد علقها على نسخة الأستاذ أبي علي عمر
ابن محمد الأزدي ابن الشلوبين عن بعض أصحاب السهيلي السامعين عليه وألحقتها في طرر كتابه رحمهم الله
جميعهم ونفعنا بما يسر لنا من ذلك بمنه وكرمه والحمد لله وحده والصلاة على من لا نبي بعده محمد وآله وصحبه أجمعين

تم كتاب السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وكان الفراغ من كتابتها
يوم الجمعة ضحى عاشر جمادى الآخر سنة إحدى وعشرين وثمانمائة
على يد الفقير إلى عفو الله تعالى ومغفرته حسين بن حنبل بن إبراهيم
ابن علي بن حسن الشافعي عفا الله تعالى عنه بمنه وكرمه
وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين
وحسبنا الله ونعم الوكيل

أصل الصفحة الأخيرة

السطور الأخيره فى المخطوط حاء فيها :

آخر كتاب السيره النبويه على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وكان الفراغ من كتابتها يوم الجمعـــة ضحى عاشر جمـــاد الآخر سنة احدى وعشرين وثماني ماية على يد الفقير الى عفو الله تعالى وغفرانه حسين بن شبل بن ابراهيم بن على بن حسن الشافعى عفا الله تعالى عنه بمنه وكرمه وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

وفى آخر صفحة بيان بخط العلامة المحقق ابراهيم بن محمد ابن خليل الشهير بسبـــط بن العجمى وبالبرهان الحلبى المتوفى سنة ٨٤١ (تاريخ سنة ٨٢٥) تفيد قراءة كاتبها حسين بن شبل المذكور لها عليه قراءة صحيحة وانه أجازه بها وبسائر ما يجوز له روايته وذكر سنده فى روايه هذه السيرة الى مؤلفها .

جماع أبواب مغازى رسول الله ﷺ وبعوثه وسراياه

لما أذن الله عز وجل لنبيه فى القتال كانت أول آية نزلت فى ذلك (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز (١)) .

---

(١) المفردات صوامع = معاهد الرهبان . جمع صومعة وهى بناء مرتفع محدود الأطراف .

بيع = كنائس النصارى . جمع بيعه .

صلوات = كنائس اليهود .

المعنى ان الله تعالى رخص بالقتال للمؤمنين بعد ان اعتدى المشركون عليهم ، فالظلم قد حاق بالمؤمنين وان الله قدير على نصرهم . انهم اخرجوا من ديارهم بلا موجب ولا ذنب سوى انهم يؤمنون بالله ولا يشركون به أحدا . ولولا ان الله جلت حكمته يدفع المشركين بالمؤمنين ــ بالاذن لهم فى الجهاد ــ لهدمت فى زمن موسى المعابد وفى زمن عيسى البيع وفى زمن محمد المساجد . وقد آلى الله لينصرن من ينصر دينه ان الله لقوى على نصر المؤمنين .

ذكر الخبر عن عدد مغازي رسول الله ﷺ وبعوثه

كان عدد مغازى (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم التى غزا بنفسه سبعا وعشرين، وكانت سراياه التى بعثفيها سبعا وأربعين سرية وكان ما قاتل فيه من المغازى تسع غزوات : بدر القتال

(١) الاسلام دين سلام ·

بعث الله رسوله (صلى الله عليه وسلم) الى الناس كافة يدعوهم لعباده الله ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويخرج بهم من الظلمات الى النور ، ولم يقل له جل شأنه ادخل الناس فى دين الله بالقوه أو ادفعهم بحد السيف أو ابعث اليهم الجيوش لتهزمهم وتخضعهم وانما قال له ·

« أدع الى سبيل ربك بالحكمه والموعظه الحسنه وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » (١٢٥ ك النحل ١٦) .

وعندما تلقى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الوحى وحمل الرسالة نشر بها المقربين اليه واستمرت الدعوة فى السر ثلاث سنوات حتى أمر الله رسوله أن يظهرها « وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، وان عصوك فقل انى برئ مما تعملون » (٢١٤ - ٢١٦ ك الشعراء ٢٦) .

والى هنا لم يكن بين الاسلام والحرب أية صلة او ارتباط ولم يكن فى مضمون الرسالة أو تفاصيلها الالتجاء الى القوة =

ــ أحد ــ المريسيع ــ الخندق ــ قريظة ــ خيبر ــ فتح مكة ــ حنين ــ والطائف .

= والضغط والسيف « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » (الآيه ٢٥٦ م البقرة) .

وقوبلت دعوة محمد (صلى الله عليه وسلم) من قريش بالصد والعدوان ، وتعرض المسلمون للظلم والتعذيب والاهانه حتى هاجر بعضهم الى الحبشه فرارا بدينهم ، ثم هاجر النبى وصحبه الى يثرب فلم يقابل العدوان بمثله وانما كان يطلب الهدى لقومه وهم يشتدون فى ايذاء المسلمين ، ولم يلجأ الى القوه داعيا ولم يلجأ اليها مدافعا حتى انهم فى يثرب ناشدوه ان يسمح لهم بالرد على العدوان ، قالوا :

« والذى بعثك بالحق ان شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا » فقال عليه الصلاه والسلام « لم نؤمر بذلك » .

وفى المدينة هدأ البال وانتظم الصف وانتشرت الدعوة واشتد المسلمون قوة ، وكان المرتقب ان يثأر المسلمون من قريش وان يشنوا عليها العدوان ، ولكن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان معرضا عن الانتقام بشيرا بالسلام ، الا أن قريشا استمرت على عدوانها وتوسعت فى تأليب العرب على الدعوة واشتدت فى ايذاء المسلمين ، فأذن الله للمؤمنين فى قتال الذين يقاتلونهم ويظلمونهم . فالمسلمون لم يلجأوا الى السيف الا للدفاع عن انفسهم ورد الأذى عن حياضهم ولم يدخلوا الحرب الا اضطرارا ولم يعمدوا الى القوه الا ردا على العدوان أو دفعا للطغيان .

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » (١٩٠ م البقرة ٢) .

وهذه السرايا والبعوث التى شرع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى ارسالها بعد عودته من مهاجره لم يكن المقصود بها أن =

وفى بعض رواياتهم أنه قاتل فى بنى النصر ولكن الله جعلها له نفلا خاصه وقاتل فى غزاه وادى القرى منصرفه من خيبر وقتل بعض أصحابه وقاتل فى الغابة .

= يقاتل المشركين او يعتدى على قريش فهى محدودة العدد قليله العده لايعقل ان ترسل لقتال أو تشتبك فى حرب وانما كان القصد منها الوقايه والحصول على المعلومات فضلا عما يهم من انها دليل على قوة المسلمين واستعدادهم لتوقى الشر وصد العدوان ورد الصاع صاعين .

ولا تخرج مهمه هذه السرايا عن الأعمال التى تكلف بها دوريات الاستطلاع أو دوريات القتال فى الحروب الحديثه ، تصح ذلك من حجم القوة وبساطه استعدادها ومدى عملها ، فهى ترقب تحركات القوافل وتحسر مقدار ما تحاط به من حراسه وتلقى فى اذهان المشركين أن استخدام القوة سيقابل بالمثل وان التفاهم أولى من القتال . وقد تصحب هذه البعوث من اعلت ما دعيت له . وكان الهدف الأسمى أن تترك قريش للناس حرية العبادة وحرية الدخول الى مكه .

فالنبى صلوات الله عليه لم يفاتح أحدا بالعداء ولم يحارب قط الا حروب دفاع واتقاء .

ومحمل القول فى حروب الاسلام أنها لم تكن حروب هجوم واعتداء وانماكانت الحرب ضرورة محتومه للدفاع واتقاء العدوان، ولم تخف هذه الحقيقه عن الباحثين والمؤرخين الا قلة من المستشرقين ، وحتى هذه القله لم تعدم من بين صفوف المؤرخين الأجانب - من يسرى لدحض افترائهم وتصحيح وقائعهم - على نحو ما فعل توماس كارليل مؤلف « البطوله والابطال » - الذى اعتبر ان استعانه الاسلام بالسيف لحمل الناس على قبول الدعوه هو قول غير مستساغ وسخف غير مفهوم =

فأول مغازيه صلى الله عليه وسلم بنفسه غزوة ودان .

= والحق ان الاسلام دين جهاد ، وقد اذن الله لنبيه (صلى الله عليه وسلم) في القتال لدفع الظلم وصد العدوان ، فلم يلجأ المسلمون الى الحرب لنشر الدعوة ولا لاخضاع الخلق ، وانما سالموا من يسالمهم — كما فعلوا مع الحبشة — وحاربوا من بدأهم بالعدوان كما فعلوا مع قريش واليهود والفرس والروم .

وقد أجمل العلامة المؤرخ المرحوم أحمد زكي باشا أخبار السرايا الاسلامية وأثبت الحقيقة الواقعة من انها كلها كانت دفعا للأذى وردا على العدوان فقال

« ان الذي يتأمل في مثير الحروب الاسلامية بادىء الأمر يعلم علما ليس بالظن أن المسلمين لم يحاربوا الا من أراد صدهم عن سبيل الله فحاربهم وآذاهم ، فمن ذلك أن أول الغزوات كانت مع قريش . فنتركها ونترك سائر غزواتهم كذلك لما هو معروف من أمر قريش وايذائها النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه واخراجهم من ديارهم ونذكر من بعد ذلك غزوة بني قينقاع من يهود المدينة ، فقد حاربهم المسلمون لنقضهم العهد بعد غزوة بدر الكبرى وهتكهم حرمة سيدة من نساء الأنصار ، ثم غزوة بني غطفان ولم يخرج المسلمون لقتالهم الا بعد ان علموا ان بني ثعلبة ومحارب من غطفان تجمعوا برئاسة دعثور المحاربي للاغارة على المدينة ، ثم سرية عاصم بن ثابت الانصاري وكانوا مع رهط عضل والقارة الذين خانوهم ودلوا عليهم هذيلا قوم سفيان بن خالد الهذلي الذي قتله عبد الله بن أنيس ، ثم سرية المنذر بن عمرو وهم سبعون رجلا يسمون القراء أخذهم عامر بن مالك ملاعب الأسنة لطمعه في هداية قومه وايمانهم فلم يرع قومه جواره وقتلوا القراء ، ثم غزوة بني النضير من يهود المدينة وذلك لنقضهم العهد والقائهم صخرة على النبي صلى الله عليه وسلم لما كان في ديارهم ، ثم غزوة دومة الجندل ولم يخرج المسلمون لقتالهم الا لما علموا أن في ذلك المكان أعرابا يقطعون الطريق على المارة ويريدون الاغارة =

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفر غازيا على رأس اثنى عشر شهرا من مقدمه المدينــة لاثنتى عشرة ليلة مضت من

= على المدينه ، ثم غزوة بنى المصـــطلق وهؤلاء ممن ســاعدوا المشــركين فى أحـــد ولم يكتفوا بذلك بل ارادوا جمــع الجموع للاغاره على المدينه ، ثم غزوه الخندق وكانت مع الاحزاب الذين حاصروا المدينه ، ثم غزوه بنى قريظه من يهود المدينه لنقضهم العهد واجتماعهم مع الاحزاب ثم غزوة بنى لحيان لقتلهم عاصــم ابن ثابت وأخوانه الذين غدر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم غزوة الغابه لاغارة عيينــه بن حصن فى أربعين راكبا على لقــاح للنبى صلى الله عليه وسلم كانت ترعى الغابه ، ثم سرية محمــد بن مسلمه الى القصه لما بلغ المسلمين ان بذلك الموضع ناسا يريدون الاغارة على نعم المسلمين التى ترعى بالهيفاء ، ثم سرية زيد بن حارثه لمعاكسة بنى سليم الذين كانوا من الأحزاب يوم الخندق ، ثم سريه زيد كذلك للاغارة على بنى فزارة الذين تعرضوا له ، ثم سرية عمر بن الخطاب لما بلغ المسلمين من ان جمعا من هوازن يظهرون العداوه للمسلمين ، ثم سريه بشير بن ســعد لما بلغهــم من أن عيينة بن حصن واعد جماعه من غطفان مقيمين بقرب خيبر للاغارة على المدينه . ثم سرية غالب الليثى ليقتص من بنى مرة بعدك لأنهم أصابوا سرية بشير بن ســعد ، ثم غزوة مؤتة وكانت لتعرض شرحبيل بن عمر الغسانى للحارث بن عمير الأزدى رسول النبى صلى الله عليه وسلم الى أمير بصرى يحمل كتابا وقتله اياه ، ولم يقتل للنبى صلى الله عليه وسلم رسول غيره حتى وجد لذلك وجدا شديدا . ثم سريه عمرو بن العاص لما بلغهم من ان جماعه من قضاعه يتجمعون فى ديارهم وراء وادى القرى للاغاره عــلى المدينة ، ثم سريه على بن أبى طالب لما بلغهــم من أن بنى سعد بن بكر يجمعون الجموع لمساعدة يهود خيبر على حــرب المسلمين ، ثم غزوة خيبر لأن أهلها كانوا اعظم محرض للاحزاب ثم سرية عبدالله ابن رواحه لما بلغهم من أن رزام رئيس اليهــود يسعى فى تحريض العرب على قتال المسلمين ، ثم سريه عمرو بن أمية الضمرى لقتل =

شهر صفر حتى بلغ ودان وكان يريد قريشا وبنى ضـــمره وهى غروة الأبواء ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا .

= ابى سفيان جراء ارساله من يقتل النبى عليه الصــلاه والسلام غدرا ، ثم حرب العراق لما ارتكبه كسرى عندما أرسـل اليه كتابا عرص عليه فيه الاسلام ، فانه مزق الكتاب وكتب الى بازان ــ أمير له باليمن ــ يقول له . « بلغنى أن رجلا من قريش خرج بمكه يزعم انه نبى فسر اليه فاستتبه ، فان تاب والا فابعث الى برأسه . ايكتب الى هذا الكتاب وهو عبدى ؟ » فبعث بازان بكتاب كسرى الى النبى صلى الله عليه وسلم مع فارسين يأمره أن ينصرف معهما الى كسرى فقدما اليه وقالوا له . شاهنشاه بعث الى الملك بازان يأمره ان يبعث اليك من يأتى بك ، وقد بعثنا اليك فان ابيت هلكت واهلكت قومك وخربت بلادك . فليس بعد ذلك عـــذر للمسلمين فى امتناعهم عن حرب الفرس خصوصا وقد كان للعرب ثارات كثيرة فى ذمة العجم .. ثم غزوة تبوك لما بلغ المسلمين من أن الروم جمعت الجمـوع تريد غزوهم فى بلادهم ، وقد أعقبهـــا فتح الشام والقسم الأعظم من دولة الروم »

« عن محاضرات الحضارة الاسلاميه ــ المحاضرة السابعة ــ نشرت بمجلة الجامعة المصريه »

بعث حمزة وعبيدة بن الحرث

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بها بقية صفر وصدرا من شهر ربيع الأول وبعث في مقامه ذلك عبيدة بن الحرث في ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المره فلقى بها جمعا عظيما من قريش فلم يكن بينهم قتال الا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم فكان أول سهم رمى به في الاسلام ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامية . وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار .

فكانت راية عبيدة فيما بلغنا أول راية عقدت في الاسلام وبعض العلماء يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه حين أقبل من غزوة الابواء قبل أن يصل الى المدينة وبعث في مقامه ذلك حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم الى سيف (١) البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكبا من المهاجرين فلقى أبا جهل بن هشام في ذلك الساحل في ثلاثمائة راكب فحجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى وكان موادعا للفريقين جميعا فانصرف بعض القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال . وبعض الناس يقول كانت راية حمزه أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن بعثه وبعث عبيده كانا معا فشبه ذلك على الناس .

---

(١) السيف (بكسر السين) الشاطىء .

سَرِيّةِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقّاص

كانت سرية سعد الى الخراز فى دى القعدة. عقد له لواءأبيض حمله المقداد بن عمرو وبعثه فى عشرين من المهاجرين .

غـزوة بواط

ثم غزا رسول الله صلى الله عليـه وسلم فى شهر ربيع الأول يريد قريشا حتى بلغ بواط من ناحية رضوى ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا . واستعمل على المدينة السائب بن مظعون ، وحمل اللواء ــ وكان أبيض ــ سعد بن معاذ. وكان قد خرج فى مائتين من أصحابه يعرض لعير قريش فيها أمية بن خلف الجمحى ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير .

غـزوة العشيرة

فى أثناء جمادى الأولى من السنة الثانية غزا قريشا حتى نزل العشيرة من بطن ينبع فأقام بها جمادى الأولى وليالى من جمادى الآخرة ووادع فيها بنى مدلج وحلفـاءهم من بنى ضمره وحمـل لواء رسول الله صلى الله عليـه وسلم فيها حمزه بن عبد المطلب وكان أبيض وخرج فى خمسين ومائه ونفال فى مائتين من قريش من المهاجرين ممن انتدب ولم يكره أحدا على الخروج . وخرجوا

على ثلاثين بعيرا يعتقبونها (١) وخرج ليعترض لعير قريش حين ابتدأت الى الشام فكان قد جاءه الخبر بقفولها من مكه فيها أموال قريش فبلغ ذا العشيرة وهى لبنى مدلج فوجد العير التى خرج لها قد مضت قبل ذلك بأيام وهى العير التى خرج اليها حين رجعت من الشام فكانت بسببها وقعة بدر الكبرى .

سَرِيَّة عَبْدِ اللّٰه بن جَحْش

وبعث عبد الله بن جحش فى رجب مقفله من بدر الأولى ومعه ثمانيه رهط من المهاجرين وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به ولا يستكره أحدا من أصحابه — وكان فيهم سعد بن أبى وقاص — فلما سار عبد الله يومين فتح الكتاب فنظر فيه فاذا فيه : اذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخله بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم . فلما نظر فى الكتاب قال سمعا وطاعة ثم قال ذلك لأصحابه وقال قد نهانى أن أستكره أحدا منكم فمضوا لم يتخلف عنه منهم أحد . وسلك على الحجاز حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بحران أضل سعد بن أبى وقاص

(١) يعتقبونها أى يتعاقبون على ركوبها نظرا لأن عدد الرجال أكثر من عدد الجمال ، فيختص كل ثلاثه رجال مثلا ببعير واحد يركبه الثلاثه واحدا بعد الآخر ، وقد كان النبى (صلى الله عليه وسلم) يصر على أن يأخذ دوره فى السير اذا ما انتهى دوره فى الركوب . ولا يقبل أن يتخلى له واحد عن دوره .

وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه (١) فتخلفا عليه في طلبه ومضى عبد الله وأصحـابه حتى نزل بنخلة فمرت به عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان بن عبـد الله بن المغيرة وأخوه نوفل المخزوميان والحكيم بن كيسان مولى هشـام بن المغيرة فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبـا منهم فأشرف عليهم عكاشة بن محصن وقد حلق رأسه فلما رأوه أمنوا وقالوا عمار لا بأس عليكم منهم وتشاور القوم فيهم وذلك في آخر يوم من رجب فقال القوم والله لئن تركتم القوم في هـذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم به ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام فتردد القوم وهابوا الاقدام عليهم ثم شـجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معه فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله واستأسر عثمان ابن عبد الله والحكم بن كيسان وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة (٢) .

وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لأصحابه ان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما غنمنا الخمس ــ وذلك قبل أن يفرض الله الخمس من المغانم ــ فعزل لرسول الله صلى

(١) اى يركبه كل منهما شوطا .

(٢) لم يكن النبي (صلى الله عليه وسلم) قدّ أمر عبد الله بن جحش وسريته بالقتال وانما ارساله لاستطلاع اخبار قريش فلما قاتلوا وقتلوا أحد المشركين في شهر رجب ــ وكانوا لا يعلمون =

الله عليه وسلم خمس العير وقسم سائرها بين أصحابه . فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام فوقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا . فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم سقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا وعنفهم اخوانهم من المسلمين فيما صنعوا . وقالت قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله تعالى :

(يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (١) .

ففرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسرين وبعث اليه قريش في فداء أسيريها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانفديكموهما حتى يقدم صاحبانا يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان فانا نخشاكم

= باهلاله - تحدث الناس في ذلك وسألوا هل يحل لهم القتال فيه فنزلت الآيه وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) قد رد الابل والأسرى احتراما للشهر الحرام .

(١) الآيه ٢١٧ م البقرة ٢ .

المعنى : يقول تعالى ان المشركين يسألون عن حرمه الشهر =

عليهما وان تقتلوهما نقتـل صاحبكم . فقـدم سعد وعتبـة فأفداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما تجلى عن عبـد الله بن جحش وأصحابه ماكانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا فى الأجر فقالوا يارسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين فأنزل الله فيهم :

(ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سـبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم) (١) .

فوصفهم الله من ذلك على أعظم الرجاء .

وكانت غنيمة عبد الله بن جحش أول غنيمة غنمها المسلمون . وكان عمرو بن الحضرمى أول من قتـل المسلمون . وعثمـان والحكم أول من أسر المسلمون وعبـد الله بن جحش أول من خمس ماغنم فى الاسلام وأول من سمى أمير المؤمنين .

= الحرام وان القتال فيه من الكبائر ، وهذا صحيح ولكن هناك ماهو أشد حرمة من هذا فالصد عن سبيل الله والكفر به واخراج الناس من المسجد الحرام ومحاولة فتنة الناس عن دينهم بالتهديد والوعيد والاغراء والتعذيب أشد سوءا من القتال فى الشهر الحرام وفى غير الشهر الحرام . ان المشركين يثيرون الفتنة فلا جناح على المؤمنين اذا قاتلوهم . ان المشركين يحاولون رد المسلمين عن دينهم ما استطاعوا الى ذلك سبيلا . وان من يرتد عن دينه ومات كافرا فقد ساء عمله فى الدنيا ، ومآله جهنم .

(١) الآية ٢١٧ م البقرة ٢ ـ نزلت فى سرية عبد الله بن جحش لما ظن بهم أنهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر فانزل الله تعالى على نفوس المجـاهدين الطمأنينة أن المؤمنين والمهاجرين والمجاهدين فى سبيل الله يرجون رحمة الله ، والله غفور لما يقعون فيه من خطأ وانه رحيم بهم .

غزوة بدر الكبرى

وكانت يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى سفيان بن حرب مقبلا من الشام فى عير لقريش عظيمة فيها أموال لقريش وتجارة من تجارتهم وفيها ثلاثون رجلا من قريش أو أربعون وكانت عيرهم ألف بعير ، فدعى الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها (١) .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان وضرب عسكره ببئر أبى عنبة على ميل من المدينة يعرض أصحابه ورد من استصغر وخرج فى ثلاثمائة رجل وخمسة نفر كان المهاجرون منهم أربعة وستين رجلا وسائرهم من الأنصار . ودفع اللواء الى مصعب

(١) خرج ابو سفيان فى خريف السنة الثانية للهجرة فى تجارة كبيرة يقصد الشام ، وأفلت من المسلمين فى ذهابه ، أو على وجه التحقيق وصلوا الى «العشيرة» بعد أن مرت القافلة، فعزموا على لقائها فى عودتها وبعث الرسول (صلى الله عليه وسلم) طلحة ابن عبد الله وسعيد بن زيد ينتظران مقدمها فى الحوراء حتى اذا مرت وعرفا من أمرها الكثير أخذا طريقهما سريعا ليفيضا الى الرسول بما لديهما من معلومات الا انه كان قد ترامى اليه أخبار هذه القافلة وخشى أن تفوته من ايابها كما فاتته فى ذهابها فسارع بالخروج اليها .

ابن عمير وكان أبيض . وكان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان احداهما مع على بن أبى طالب — وكان فى العشرين من عمره — والأخرى مع أحد الأنصار .

وكانت ابل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعين بعيرا فاعتقبوها كل ثلاثة على بعير وكان أبو لبابة وعلى بن أبى طالب زميلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا كانت عقبةالنبى صلى الله عليه وسلم قالا اركبحتى نمشى عنك فيقول: «ما أنتما بأقوى منى على المشى وما أنا بأغنى عن الأجر منكما » .

وكان أبوسفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار ويسأل من لقى من الركبان تخوفا من أمر الناس حتى أصاب خبرا من بعض الركبان أن محمدا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو فبعثه الى مكة وأمره أنيأتى قريشا فيستنفرهم الى أموالهم ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها فى أصحابه فخرج ضمضم سريعا الى مكة (١) . وخرج المشركون من أهل مكة سراعا ومعهم القيان والدفوف .

واستشار رسول الله أصحابه فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ثم قام المقداد بن

---

(١) وصل ضمضم الى بطن الوادى ووقف على بعيره وأخذ يصيح فتجمع الناس حوله ، وقد شق قميصه من قبل ومن دبر وجعل يصرخ قائلا « يا معشر قريش ' اللطيمة اللطيمة ' أى المال والتجارة) أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فىاصحابه لا أرى أن تدركوها .. الغوث . الغوث !

عمرو فقال يارسول الله امض لما أمر الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا على فقال عمر يارسول الله انها قريش وعزها والله ماذلت منذ عزت ولا آمنت منذ كفرت والله لتقاتلنك فاتهب لذلك أهبته وأعد لذلك عدته .

وكان الأنصار عندما بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم بالعقبة قالوا يا رسول الله انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلنا اليها فأنت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف من ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وأنه ليس عليهم أن يسير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ لعلك تريدنا يا رسول الله فقال أجل قال فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك والذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا

انا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى .

فسر النبى صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال :

سيروا وأبشروا فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين ، والله لكأنى الآن أنظر الى مصارع القوم .

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذفران ثم نزل قريبا من بدر . وبعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد ابن أبى وقاص فى نفر من أصحابه الى ماء بدر يلتمسون الخبر له عليه فلقيا رجلين جاءوا بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهما عن قريش فالا وراء هذا الكثيب الذى ترى بالعدوة القصوى والكثيب العقنقل (١) فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا كثير قال ماعدتهم قالا ماندرى قال كم ينحرون كل يوم قالا يوما تسعا ويوما عشرا قال صلى الله عليه وسلم : القوم ما بين التسعمائه والألف (٢) . هذه مكة قد ألقت عليكم أفلاذ كبدها .

وسأل الحباب بن المنذر رسول الله قال : يارسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نقدمه ولا أن نتأخر

---

(١) التل الكثير الرمل .

(٢) وهكذا استطاع القائد ان يعرف عدد رجال عدوه من كميه « التعيينات » أى المؤن التى يأكلونها كل يوم .

عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة قال بل هو الرأى والحرب والمكيدة قال : يارسول الله ان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ماوراءه من القلب(١) ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أشرت بالرأى (٢) فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فسار حتى أتى أدنى ماء

---

(١) القلب . جمع قليب وهو البئر ـ والتغوير هو ملؤها بالتراب ، أى ردمها ، حتى ينضب ماؤها .

(٢) هذا مثل من أمثلة القيادة الرشيدة فان محمدا القائد ـ وهو رسول الله ـ لم ينفرد بالرأى ولم ينهض بالعبء وحده ـ وهو عليه قدير ـ وانما أخذ برأى أصحابه واستشار رجاله حتى يظفر بالرأى الصائب ويشركهم معه فى الأمر ونضع لهم التقاليد والمبادىء، حتى اذا جاء أحدهم بالفكرة السليمة والخطة الرشيدة سارع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأخذ بها ووافق عليها وقام بتنفيذها ولم يأنف القائد ـ وهو رسول الله ـ ان ينزل على رأى الجندى المجاهد ـ الحباب بن المنذر ـ حين عدل الأوضاع وأحدث تغييرا فى الخطة .

وتجلت فى هذا الموقف قوة معنويات العرب ومدى أهمية الايمان بالفكرة والعقيدة والتصميم على الجهاد فى أشد الظروف ، فالمسلمون يواجهون فى هذه المعركة ثلاثة أمثالهم ولا يرتقبون غنيمة أو كسبا فقد أفلت عير قريش ، ولم تعد أمامهم الا احدى نهايتين النصر أو الشهادة .

أما فى المعسكر الآخر فقد وقف المشركون ، وفيهم صفوة =

من القوم فنزل عليه ثم أمر بالقلب فغورت وبنى حوضا على القليب الذى نزل عليه فملىء ماء ثم قذفوا فيه الآنية .

قال سعد بن معاد . يانبى الله ألا تبنى لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركائبك (١) ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببناه ، وان كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا ، فقد تخلف عنك أقوام يانبى الله ما نحن بأشد لك حبا منهم ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك .

فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له بخير ، ثم بنى عريشا فكان فيه .

وقد ارتحلت قريش حين أصبحت ، فأقبلت ، فلما رآها رسول الله تصوب من العقنقل — وهو الكثيب الذى جاءوا منه

= قريش وتديهم التفوق العددى فى الرجال والسلاح ولهم السيطرة على الموقع .. ومع هذا يترددون بين الانسحاب والقتال ، ولا يمنعهم من الانسحاب سوى فخرهم وخيلائهم فلم يبق بعد ذلك من الحرب مفر .

وهنا تظهر أهمية القوة المعنوية التى قال نابليون بونابرت انها تساوى ثلاثة أمثال الكثرة العدديه .

(١) هذه نظرية « الاحتياطى » ، ويرى كثرة من العسكريين انه ينبغى وجود احتياطى لكل قوة حتى يمكن التصرف اذا مالت كفة المعركة ، وبذلك لاينتهى القتال فى معركة وحيدة ، والاحتياطى هنا مجموعة من الركائب تسهل أن تتصل بباقى المسلمين وتجمع منهم قوة جديدة لمواصلة القتال .

الى الوادي ـقال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتـكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى ، اللهم أحنهم (١) الغـداة .

أرسلت قريش عمير بن وهب الجمحي فقالوا : احرز(٢) لنـا أصحاب محمد ، فاستجال بفرسـه حول العسكر ثم رجع اليهم فقال : ثلاثمائة رجـل نزيدون قليلا أو ينقصون ولكن أمهلونى حتى أنظر أللقـوم كمين أو مدد . فضرب فى بطن الوادى حتى أبعد فلم ير شيئا فرجع اليهم فقال :

« ما رأيت شيئا ولكنى قد رأيت يامعشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس لهم منعـة ولا ملجأ الا سـيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجل منكم . فاذا أصابوا منكم عدادكم فمـا خير العيش بعد ذلك . فروا رأيكم » .

وجاء حكيم بن حزام الى أبى جهل بن هشام يسـأله تجنب الحرب حتى يؤخذ رأى العرب فى محمد صلى الله عليـه وسلم فقال أبو جهل :

« والله لانرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد » .

---

(١) أحنهم : أهلكهم .
(٢) أى اكشف لنا وهات المعلومات عن العدو ، وهـذه من أعمال الكشافة أو جماعه الاستطلاع .

من القوم فنزل عليه ثم أمر بالقلب فغورت وبنى حوضا على القليب الذى نزل عليه فملىء ماء ثم قذفوا فيه الآنية .

قال سعد بن معاذ : يانبى الله ألا تبنى لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركائبك (١) ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببناه ، وان كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا ، فقد تخلف عنك أقوام يانبى الله ما نحن بأشد لك حبا منهم ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك .

فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له بخير ، ثم بنى عريشا فكان فيه .

وقد ارتحلت قريش حين أصبحت ، فأقبلت ، فلما رآها رسول الله تصوب من العقنقل ــ وهو الكثيب الذى جاءوا منه

= قريش ولديهم التفوق العددى فى الرجال والسلاح ولهم السيطرة على الموقعة .. ومع هذا يترددون بين الانسحاب والقتال ، ولا يمنعهم من الانسحاب سوى فخرهم وخيلائهم فلم يبق بعد ذلك من الحرب مفر .

وهنا تظهر أهمية القوة المعنوية التى قال نابليون بونابرت انها تساوى ثلاثة أمثال الكثرة العددية .

(١) هذه نظرية « الاحتياطى » ، ويرى كثرة من العسكريين انه ينبغى وجود احتياطى لكل قوة حتى يمكن التصرف اذا مالت كفة المعركة ، وبذلك لاينتهى القتال فى معركة وحيدة ، والاحتياطى هنا مجموعة من الركائب سهل أن تتصل بباقى المسلمين وتجمع منهم قوة جديدة لمواصلة القتال .

الى الوادى ـ قال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى ، اللهم أحنهم (١) الغداة .

أرسلت قريش عمير بن وهب الجمحى فقالوا : احرز(٢) لنا أصحاب محمد ، فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع اليهم فقال : ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون ولكن أمهلونى حتى أنظر أللقوم كمين أو مدد . فضرب فى بطن الوادى حتى أبعد فلم ير شيئا فرجع اليهم فقال :

« ما رأيت شيئا ولكنى قد رأيت يامعشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجل منكم . فاذا أصابوا منكم عدادكم فما خير العيش بعد ذلك . فروا رأيكم » .

وجاء حكيم بن حزام الى أبى جهل بن هشام يسأله تجنب الحرب حتى يؤخذ رأى العرب فى محمد صلى الله عليه وسلم فقال أبو جهل :

« والله لانرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد » .

---

(١) أحنهم . أهلكهم .
(٢) أى اكشف لنا وهات المعلومات عن العدو ، وهذه من أعمال الكشافه أو جماعه الاستطلاع .

وصاح عامر بن الحضرمي واعمراه .

وقال رجال من المشركين لما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غرّ هؤلاء دينهم فأنزل الله تعالى :

« اذ يقول المنافقون والدين فى قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم ، ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم » (١) .

وخرج من بين المشركين الأسود بن عبد الأسد المخزومى ، وكان رجلا شرسا سيىء الخلق ، فقال : « أعاهد الله لأشربنّ من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه » .

وخرج من بين المشركين الأسود بن عبد الأسد المخرومى وكان فأطن (٢) قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما نحو أصحابه ثم حبا الى الحوض حتى اقتحم فيه يريد زعم أن تبر يمنـــه ، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيـــه شيبـــه وابنه الوليد بن عتبه .

---

(١) الآيه ٤٩ م الانفال ٨ ـ المعنى قال المنافقون والدين اسودت قلوبهم وساءت نفوسهم بسبب الحقد والجهاله لقد خدع المسلمون بما أوصى اليهم به دينهم حتى عرضوا أنفسهم لما لاطاقه لهم به ولا قدره عليه ـ فان عدد المسلمين كان ثلاثمائه بينما كان عدد المشركين زهاء ألف ـ ولم يعلم هؤلاء المارقون ان من يتوكل على الله ويجاهد في سبيله فان الله يعزه وينصره ، والله يفعـــل بحكمته البالغه مالا يعتمده المشركون الضالون .

(٢) أى قطـــع

ثم نادى مناديهم : يامحمد أخرج الينا أكفاءنا من قومنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم : قم يا عبيدة بن الحرث وقم ياحمزة وقم ياعلى فلما قاموا ودنوا منهـم بارز عبيدة : عتبـة ، وبارز حمزه : شيبة ، وبارز على : الوليد. فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله وأما على فلم يمهل الوليد أن قتله واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه وكر حمزة وعلى بأسيافهما على عتبة فدففا (١) عليه ، واحتملا صاحبهما فحازاه الى أصحابه.

ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدل الصفوف ورجع الى العريش فدخله ومعه أبو بكر ليس معـه غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ماوعده بالنصر ويقول فيما يقول:

(اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد) .

وأبو بكر يقول (يا رسول الله بعض مناشدتك ربك فان الله منجز لك ما وعدك) .

وقد خفق الرسول صلى الله عليه وسلم خفقة وهو فى العريش ثم انتبه فقال :

(أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله) .

---

(١) أى اجهزا عليه

واسـتقبل نبى الله القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه اللهم أنجز لى ما وعدتنى فأنزل الله عز وجل عند ذلك :

(اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين) (١) .

ودار رحى القتال واشـتد أوار المعركة ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الناس فحرضهم وقال :

(والذى نفس محمد بيده لايقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة) .

فقال عمير بن الحمام وفى يده تمرات يأكلهن « بخ بخ ، أفما بينى وبين أن أدخل الجنـة الا أن يقتلنى هؤلاء .. » ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه وقاتل القوم حتى قتل ، فكان أول قتيل من المسلمين .

ثم كانت الهزيمة فقتل الله من قتل من صـناديد قريش وأسر من أسر من أشرافهم فلما وضع القوم أيديهم يأسرون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش وسعد بن معـاذ قائم على باب

---

(١) الآيه ٩ م الانفال ٨ ـ المعنى اذ تلجأون الى الله تنشدون رحمته ونصره فاستجاب لكم أنى باعث اليكم مددا يفوقكم الفا من الملائكة يتعاقبون ، وجعل الله هذا المـدد بشرى ونصرا فتطمئن قلوبهم ، والنصر من عند الله .

العريش متوشح السيف فى نفر من الانصار يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم يخافون عليه كرة العدو (١) .

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس (أى أسر المشركين) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم . قال : أجل والله يارسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله بالشرك فكان الاثخان فى القتل أحب الى من استبقاء الرجال .

وقد روى أرباب المغازى والسير أن سعد بن أبى وقاص قتل يوم بدر سعيد بن العاص وأخذ سيفه فنفله رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه حتى نزلت سوره الأنفال وأن الزبير بن العوام بارز رجلا فنفله رسول الله صلى الله عليه وسلم سلبه ، وأن ابن مسعود نفله رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سلب أبى جهل.

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة بشيرا الى أهل العالية بما فتح الله على رسوله وعلى المسلمين ،

---

(١) أظهرت معركة بدر أهميه الروح المعنويه والايمان بالهدف والحرص على بلوغه والاستماته فى سبيله وقد شجع النبى (صلى الله عليه وسلم) رجاله على الاقدام وشحذ عزيمتهم وملأهم ثقة وايمانا وهم أقل عددا وامتيازا من خصومهم ، وفى هذا نزلت الآيتان الكريمتان «ياأيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائه يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائه صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين » (٦٥،٦٦ الانفال ٨)

وبعث زيد بن حارثة الى السافلة ، واحتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه النفل الذى أصيب من المشركين ثم أقبل عليه السلام حتى اذا خرج من مضيق الصفراء فقسم النفل بين المسلمين على السواء ثم فرق الأسارى بين أصحابه وقال : « استوصوا بهم خيرا » (١) .

وروى أن « أبو سفيان بن الحرث » قدم على أبى لهب فقال أبو لهب هلم الى فعندك الخبر فقال أبو سفيان :

والله ما هو الا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ويأسروننا كيف شاءوا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس . لقينا رجال بيض على خيل بلق بين السماء والأرض والله ما تليق شيئا ولا يقوم لها شيء .

وقد ناحت قريش على قتلاهم ثم قالوا لا تفعلوا فيبلغ محمدا وأصحابه فيشمتوا بكم ولا تعنوا فى أسراكم حتى تستأنوا (٢) بهم لا يأرب (٣) عليكم محمد وأصحابه فى الفداء .

---

(١) وبهذا وضع النبى (ص) مبدأ فى معاملة الاسرى فلا تعذيب ولا تنكيل ، وهذا ما تعول به قوانين الحرب الحديثة وبعمل بضده مجرمو الحرب .

(٢) تستأنوا تؤخروا فداءهم .

(٣) لا يأرب أى لا يتشدد ويبالغ .

ماقيل من الشعر في بدر [1]

حمزة بن عبد المطلب :

ألم تر أمرا كان من عجب الدهــر
وللحــــين أســباب مبينة الأمــر
وما ذاك الا أن قــــوما أفادهــم
فخــانوا تواص بالعقــوق وبالكفر
عشـــية راحوا نحــو بدر جميعهم
فكانوا رهــونا للركيــة من بــدر
وكنا طلبنا العــير لم نبغ غــيرها
فساروا الينــا فالتقينا على قــدر
فلمــا التقينـــا لم تــكن مثنـوية
لنــا غــير طعن بالمثقفــة السمر

(١) احصائيات وقعة بدر الكبرى :
شهدها من الخزرج مائة وخمسة وتسعون
ومن الأوس أربعه وسبعون
ومن المهاجرين أربعة وتسعون
مجموع المسلمين فى بدر ثلاثمائة وثلاثة وستون .
واستشهد من المسلمين أربعه عشر .
ستة من المهاجرين وثمانيه من الانصار (ستة من الخزرج واثنان من الأوس) وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون .

قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت لهم فرصة . أما والله لو حاربتنا لتعلمن أنا نحن الناس .

فنزلت الآية الكريمة :

(قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد، قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار) (١) .

وقد كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاربوا فيما بين بدر وأحد فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه (٢) .

---

(١) الآيتان ١٢ ، ١٣ م آل عمران ٣ المعنى قل يامحمد لليهود، ستغلبون أيها الكافرون فى الدنيا ، ثم مصيركم النار وبئس المصير فلا تغتروا بكثرتكم واذكروا ماحدث فى يوم بدر بين المسلمين والكافرين، وقد تراءى للكافرين عند الالتحام فى القتال أن المسلمين مثل عددهم مرتين — بينما كان المسلمون أقل عددا — ولكن الله ايدهم ونصرهم . وانها لعبرة لمن يبصر ويفكر .

(٢) حارب المسلمون يهود المدينة لأنهم نقضوا العهد بعد غزوة بدر وهتكوا حرمة سيدة من الأنصار .

وفيهم نزلت الآية الكريمة :

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا البهود والنصارى أوليــاء بعضهم أولياء بعض ومن سوامم مىكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين) (١) .

وكذلك الآية الكريمة :

(واما تخافن من فوم خيانة فانبذ اليهم على ســواء ان الله لا يحب الخائنين) (٢) .

---

(١) الآيه ٥١ المــائده ٥ المعنى .. ينهى الله المؤمنين أن يتخدوا من اليهود والنصارى أولياء ومناصرين . لا تصـــادقوهم ولا تطمئنوا اليهــم ولا تستنصروا بهم فانهم يتحالفون صـــدكم ويتربصون بكم الدوائر . فمن يجعل منهم أولياء له يصبح حكمه كحكمهم . ان الله لا يهدى الدين يظلمون أنفسهم أو يظلمـــون غيرهـــم .

(٢) الآيه ٥٨ م الأنفـــال ٨ المعنى اذا ظهـــرت لك أمارات الخيانة ونقض العهد ــ كما ظهر من بنى النضير ــ فاطرح اليهم عهدهم ، وأعلمهم بنبذه قبل ان تحاربهم . فلا يتوهم أحد فيك الغدر أو الخيانه التى لا يحبها الله .

غزوة السويق

كان خروج النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة لخمس خلون من ذى الحجة يوم الأحد على رأس اثنين وعشرين شهرا من مهاجره .

عندما رجع أبو سفيان الى مكة ورجع فل قريش من بدر ، نذر أن لايمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا صلى الله عليه وسلم فخرج فى مائتى راكب من قريش ليبر بيمينه ، فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة الى جبل يقال له نيب — قرب المدينة — ثم خرج من الليل حتى أتى بنى النضير تحت الليل (١)

(١) كان جلاء بنى قينقاع عن المدينة من مظاهر تصفية الموقف فى المدينة وخلاصها من اليهود والمشركين والمنافقين المترددين بين الايمان والكفر ، فبدأت مرحلة جديدة من الهدوء والاستقرار وتنظيم الصفوف مما هز أعصاب قريش وأقلق بال سادتها وفى مقدمتهم أبو سفيان الذى كانت هزيمة بدر تجثم على صدره وأمل الانتقام يقيم بين عينيه حتى أنه نذر أن لا يمس رأسه الماء حتى يثأر فخرج على رأس مائتين من رحاله ليلا حتى اقتربوا من المدينة ، وفى طريقه ظفر برجلين من الأنصار فقتلهما وأغار على يمين وبعض النخيل فاحرقها ، فلما بدت طلائع المسلمين فر أبو سفيان ورجاله فكانوا يلقون أحمالهم وزادهم من السويق فى الطريق ، فكانت الاغارة وبالا عليه وهزيمة من حيث أراد الظفر والثأر .

وقد ذاعت هذه الحادثة وبدأت القبائل تعمل حساب المسلمين وخاصة القبائل التى تقيم على طريق الشام — وهو طريق التجارة ومورد الرزق — فبدأت عدة محاولات لوقف تقدم المسلمين ، ومن ذلك ما اتفق عليه نفر من غطفان وسليم للقيام بعدوان جديد =

فأتى حيى بن أخطب فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له بابه وخافه فانصرف عنه الى سلام ابن مشكم وكان سيد بنى النضير فى زمانه وصاحب كنزهم فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه وبطن له من خبر الناس ثم خرج فى عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجالا من قريش فأتوا ناحية منها يقال لها العريض فحرقوا فى أصوار (مجموعة) من نخل بها ووجدوا رجلا من الأنصار وحليفا لهم فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين ونذر بهم الناس .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبهم فى مائتين من المهاجرين والأنصار حتى بلغ قرقرة الكدر وجعل أبو سفيان وأصحابه يتخففون للهرب وكان أصحابه مائتين كما قدمنا وقيل كانوا أربعين فيلقون جرب السويق وهى عامة أزوادهم فيأخذها المسلمون فسميت غزوة السويق ، وقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أتطمع أن تكون لنا غزوة قال نعم .

= وعرف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بخبر هذا الاتفاق فبادر الى العمل وسار الى « قرقرة الكدر » ليفسد عليهم الخطة ويقطع الطريق . فلما سمعوا بذلك لاذوا بالفرار وظفر المسلمون بغنمهم وشائهم .

غزوة قرقرة الكدر

ويقال قرارة الكدر للنصف من المحرم على رأس ثلاثةوعشرين شهرا من مهاجره صلى الله عليه وسلم . وهى بناحية معدن بن سليم قريب من الأرمضـــبة وراء سد معونة وبين المعدنية وبين المدينة ثمانية برد . وكان الذى حمل لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وكان بلغه أن بهذا الموضع جمعا من بنى سليم وغطفان فســار اليهم فلم يجد فى المجال أحدا وأرسل نفرا من أصحابه فى أعلى الوادى ، فاستولى على نعمهم ، وكانت خمسمائه بعير ، فأخذ خمسه وقسم أربعة أخماسه على المسلمين فأصاب كل رجل منهم بعيرين ، وكانوا مائتى رجل بينهم عمر بن الخطاب .

سرية كعب بن الأشرف

كانت لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهرا من مهاجره عليه السلام .

عندما بلغ كعب بن الأشرف ما حدث فى بدر قال :

أحق هذا أترون أن محمدا قتل هؤلاء أشراف العرب وملوك الناس ـ والله ان كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها .

وجعل يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشـد الأشعار ويبكى على أصحاب القليب ، ثم رجع الى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم ثم انبعث يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ويمتدح عدوهم ويحرضهم عليهم فلم يرض بذلك حتى ركب الى قريش فاستغواهم فقال له أبو سـفيان والمشركون : أدبنا أحب اليك أم دين محمد وأصحابه ، وأى دينينا أهدى فى رأيك وأقرب الى الحق . فقال أنتم أهدى منهم سبيلا وأفضل وفية .

قال رسول الله من لنا من ابن الأشرف فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا وقد خرج الى قريش فأجمعهم على قتالنا فقال له محمد ابن مسلمة أنا لك به يارسول الله أنا أقتله فقال فافعل ان قدرت على ذلك .

وخرج ابن مسلمة مع خمسة نفر اجتمعوا لهذا الأمر فقتلوا كعبا وكان لهذه السرية أثر سيىء فى نفس اليهود (١) .

---

(١) أما مقتل كعب بن الأشرف فقد أصاب اليهود بالفزع ، وخاصة وقد أهدر الرسول - صلى الله عليه وسلم - دماءهم بعد غزوة بنى قينقاع ، فجاءوا اليه شاكين مقتل كعب فقال رسول الله انه آذانا وهجانا بالشعر ، ولو قر كما قر غيره ممن هو على مثل رأيه ما أصابه شر .

غزوة غطفان بناحية نجد

وهى غزوة ذى أمر (١) ــ استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم على المدينة عثمان بن عفان ثم أقام بنجد صفرا ــ أى شهر صفر ــ كله وقريبا من ذلك ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا .

ذلك أنه بلغ سول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعا من ثعلبه ومحارب بذى أمر قــد تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم رجل منهم يقال له دعثور ابن الحرث من بنى محارب فندب رسول الله صلى الله عليهوسلم المسلمين وخرج لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول فى أربعمائة وخمسين رجلا فأصابوا رجلا منهم بذى القصة (٢) يقال له حبان من بنى ثعلبة فأدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره من خبرهم وقال : لن يلاقوك لو سمعوا بمسيرك لهربوا فى رءوس الجبــال . وبينما كان الرسول فى خلوة أقبل عليه دعثور شاهرا سيفه .

---

(١) بناحية النحيل وكانت الفروة فى ربيع الأول ، العــام الثالث الهجرى .

(٢) موضع بقرب المدينة .

قال : من يمنعك منى اليوم ؟

فال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله .

قال الرواه : وقع السيف من يد دعثور فأخذه النبى صلى الله عليه وسلم وقال له : من يمنعك منى قال لا أحد . أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله .

ثم أتى قومه فجعل يدعوهم الى الاسلام .

ونزلت الآية الكريمة :

(يا أيها الدين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اد هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (١) .

---

(١) الآية ١١ م المائدة ٥ المعنى لقد اعزم المسركون أن يبطشوا بكم فدفعهم الله عنكم ورد كيدهم ، وهده نعمه من نعم الله عليكم فادكروا هده النعم ايها المؤمنون وتوكلوا على الله واتقوه .

غزوة بحران

بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم أن بها جمعا من بنى سليم كثيرا فخرج فى ثلاثمائة رجل من أصحابه فأغذ فى السير حتى ورد بحران فوجدهم قد تفرقوا من مياههم فرجع ولم يلق كيدا .

كانت هذه الغزوة لست خلون من جمادى الأولى على رأس سبعة وعشرين شهرا من مهاجره .

سرية زيد بن حارثة

خشيت قريش من طريقهم التى يسلكون الى الشام (١) حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب ومعهم فضة كثيرة — وهى عظم تجارتهم واستأجروا رجلا يقال له فرات بن حيان يدلهم فى ذلك الطريق

(١) أخذت قريش تفكر فى أمر تجارتها بعد أن أصبح طريقها الى الشام تحت هيمنة المسلمين ، وقد صارح صفوان بن أمية قومه قال « ان محمدا وأصحابه قد عوروا علينا متجرنا — أى أخذوا علينا طريق تجارتنا — فما ندرى كيف نصنع بأصحابه وهم لا يبرحون الساحل ، وأهل الساحل قد وادعهم ، ودخل عامتهم معه فما ندرى أين نسكن ، وان أقمنا فى دارنا هذه أكلنا رءوس أموالنا فلم يكن لها من بقاء . وانما حياتنا بمكة على التجارة الى الشام فى الصيف والى الحبشة فى الشتاء » .

قال : من يمنعك منى اليوم ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله .

قال الرواة : وقع السيف من يد دعثور فأخذه النبى صلى الله عليه وسلم وقال له : من يمنعك منى قال لا أحد . أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله .

ثم أتى قومه فجعل يدعوهم الى الاسلام .

ونزلت الآية الكريمة :

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (١) .

---

(١) الآيه ١١ م المائدة ٥ المعنى لقد اعزم المشركون أن يبطشوا بكم فدفعهم الله عنكم ورد كيدهم ، وهذه نعمه من نعم الله عليكم فاذكروا هذه النعم ايها المؤمنون وتوكلوا على الله واتقوه .

غزوة بحران

بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم أن بها جمعا من بنى سليم كثيرا فخرج فى ثلاثمائة رجل من أصحابه فأغذ فى السير حتى ورد بحران فوجدهم قد تفرقوا من مياههم فرجع ولم يلق كيدا .

كانت هذه الغزوة لست خلون من جمادى الأولى على رأس سبعة وعشرين شهرا من مهاجره .

سرية زيد بن حارثة

خشيت قريش من طريقهم التى يسلكون الى الشام (١) حين كان من وقعة بدر ماكان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب ومعهم فضة كثيرة ـ وهى عظم تجارتهم واستأجروا رجلا يقال له فرات بن حيان يدلهم فى ذلك الطريق

(١) أحدث قريش تفكر فى أمر تجارتها بعد أن أصبح طريقها الى الشام تحت هيمنة المسلمين ، وقد صارح صفوان بن أمية قومه قال « ان محمدا وأصحابه قد عوروا علينا متجرنا ـ أى أخذوا علينا طريق تجارتنا ـ فما ندرى كيف نصنع بأصحابه وهم لا يبرحون الساحل ، وأهل الساحل قد وادعهم ، ودخل عامتهم معه فما ندرى أين نسكن ، وان أقمنا فى دارنا هذه أكلنا رءوس أموالنا فلم يكن لها من بقاء . وانما حياتنا بمكة على التجارة الى الشام فى الصيف والى الحبشة فى الشتاء » .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فى مائةراكب فلقيهم على ذلك الماء فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كانت هذه لهلال جمادى الآخرة علىرأس ثمانيةوعشرين شهرا من مهاجره وهى أول سرية خرج فيها زيد أميرا .

= ورد أحدهم · تنكب الطريق على الساحل وخد طريق العراق.
وقال آخر : انها طريق ليس يطؤها أحد من أصحاب محمد فانما هى أرض وفياف .

غَـزْوَةُ أُحُـدْ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحدا هذا جبل يحبنا ونحبه .

وكانت فى شوال سنة ثلاث يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت منه .

لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ورجع فلهم الى مكة ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره ، مشى عبد الله ابن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية فى رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم واخوانهم وأبناؤهم يوم بدر ، فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له فى تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا يامعشر قريش ان محمدا قد وتركم (١) وقتل

---

(١) توالت الضربات على قريش منذ بدر ، انهزمت فى كل معترك وتهددت تجارتها ونأى عن محالفتها اليهود ، ولم تجف دموعها على هزيمتها فى بدر فاجتمع كبارها واستقر رأيهم على الانتقام وأضرب النسوة على أن يسرن الى الحرب وقيل فيما قيل لا نريد أن نرجع الى ديارنا حتى ندرك ثأرنا أو نموت دونه » .

خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثأرا بمن أصـــاب منا ، ففعلوا .

وقال ابن سعد : لما رجع من حضر بدرا من المشركين الى مكة وجدوا العير التى قدم بها أبو سفيان بن حرب موقوفة فى دار الندوه فمشت أشراف قريش الى أبى سفيان فقالوا نحن طيبو أنفس أن تجهزوا بربح هذه العير جيشا الى محمد فقال أبوسفيان فأنا أول من أجاب الى ذاك وبنو عبد مناف فباعوها فصـــارت ذهبا وكانت ألف بعير والمال خمسين ألف دينار فسلم الى أهل العـــير رءوس أموالهم وأخرجوا أرباحهم وكانوا يربحـــون فى تجارتهم لكل دينار دينارا .

قال تعالى :

(ان الدين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن ســـبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون) (١) .

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة .

---

(١) الآيه . ٣٦ م الانفال ٨ ـ المعنى ان المشركين الكافرين يريدون العودة الى قتال المؤمنين وصدهم عن دينهم فيجمعون لذلك الهدف أموالهم وأنهم لينفقونها من أجل هـــذا الغرض ومع ذلك فستذهب أموالهم هباء وسوف يتحسرون على ضياعهـــا والنتيجة الهزيمة ثم جهنم .

وكتب العباس بن عبد المطلب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم كله .

وكان أبو عزه عمرو بن عبد الله الجمحى قد من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وكان فقيرا ذا عيال وحاجة وكان فى الاسار فقال يا رسول الله انى فقير ذو عيال وحاجة فامن على صلى الله عليك . فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال صفوان بن أمية ، أحد أقطاب حركة الثأر لعمرو هـذا : يا أبا عزه انك رجل شاعر فأعنا بلسانك فاخرج معنا فقال ان محمدا قد من على فلا أريد أن أظاهر عليه قال بلى فأعنا بلسانك فلك الله على ان رجعت أن أغنيك وان أصبت أن أجعل بناتك مع بناتى يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر ، فرجع أبو عزة ومسافع بن عبد مناف يستنفران الناس بأشعار لهما .فأما أبو عزة فظفر به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الوقعة بحمراء الأسد فقال يا محمد أقلنى فقال لا والله لاتمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين ثم أمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه ، وقال عليه السلام :

« لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » .

ودعا جبير بن مطعم غلاما له حبشيا يقال له وحشى يقـذف بحربة له قذف الحبشة فلما يخطىء بها فقال له اخرج مع الناس فان أنت قتلت حمزه عم محمد بعمى طعيمة بن عدى فأنت عتيق.

وخرجوا معهم بالظعن التماس الحفيظة وأن لايفروا فأقبلوا حتى نزلوا بعينين ـ جبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادى مقابل للمدينة (١) ـ فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا حيث نزلوا قال للمسلمين : انى قد رأيت خيرا . رأيت بقرا تذبح ورأيت فى ذباب سيفى ثلما ورأيته أنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة .

وعن ابن هشام : فأما البقر فناس من أصحابى يقتلون .

وأما الثلم الذى رأيت فى سيفى فهو رجل من أهل بيتى يقتل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها .

فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره ممن فاته بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أخرج بنا الى أعدائنا لايرون انا جبنا عنهم وضعفنا .

فلم يزالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل فلبس

---

(١) خرجت قريش تقصد المدينه فى ثلاثه ألويه قوامها ثلاثه آلاف رجل من مكه مرودين بالسلاح والمؤن ومائتى فرس وثلاثة آلاف بعير فسارت الحملة الى الابواء ثم العقيق حتى نزلت فى سفوح جبل أحد على خمسة أميال من المدينه .

لأمته ، ثم خرج عليهم قالوا يا رسول الله استكرهناك (١) ولم يكن لنا ذلك فان شئت فاقعد .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي للنبي اذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل (٢) .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألف من أصحابه حتى اذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد انخزل عنه عبد الله بن أبي بثلث الناس . وقال أطاعهم وعصاني ما ندرى علام نقتل أنفسنا فرجع بمن تبعه من قومه من أهل النفاق والريب . واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام يقول يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم قالوا لو نعلم أنكم تقاتلون

---

(١) تتمثل فى هذه القصة حرية الرأى ، بأجلى صورة ، فالجندى يدلى برأيه — فى شجاعة وأدب — وان جاء مخالفا لوجهه نظر القائد . وقد كان رأى الأغلبية من جند الرسول — صلى الله عليه وسلم — المبادرة الى خوض القتال ، ولكنهم لا يكرهون القائد على قبول هذا الرأى ، وانما يرتقبون منه القرار الأخير والأمر النافذ .

وكان النبى — صلى الله عليه وسلم — قد بلغته الأنباء من عمه العباس بن عبد المطلب الذى كان قلبه مع محمد وعقله مع قومه ؛ وتأكد النبى — صلى الله عليه وسلم — من الأنباء التى وصلته اذ بعث من رجاله كشافه تتكشف تحركات قريش ، وبدا أن المعركة الكبرى أقبلت وأن قريشا وضعت كل قوتها ومواردها لكى تضرب ضربتها فتثأر من بدر وتطيح بدعوة « محمد » وتستعيد مكانتها من العرب وتؤمن تجارتها .

(٢) وهنا .. نرى القائد ، وقد استقر رأيه على القتال ، لا يتراجع ولا يتردد ، فما دام قد اتخذ قراره ، ولبس لأمته — أى ارتدى عدة الحرب — فلا يخلعها حتى تضع الحرب أوزارها .

لما أسلمناكم ولكنا لانرى أنه يكون قتال . فلما استعصوا عليه وأبوا الا الانصراف قال أبعدكم الله أعداء الله فسيغنى الله عنكم نبيه .

فلما رجع عبد الله بثلثمائه سقط فى أيدى الطائفتين من المسلمين وهما أن يقتتلا وهما بنو حارثه وبنو سلمة فالت فرقه نقتلهم وقالت فرقة لا نقتلهم فنزلت الآيه .

(فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) (١) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها طيبة وانها تنفى الخبث كما تنفى النار خبث الفضه .

وقال الأنصار يوم أحد : يارسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود فقال لا حاجة لنا فيهم (٢) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه . من رجل يخرج بنا على القوم من كثب — أى من قرب — من طريق لايمر بنا عليهم (٣) فقال أبو خيثمة بن الحارث أنا يارسول الله .

---

(١) الآيه : ٨٨ م النساء ٤ المعنى : لقد تخلف المنافقون عن الجهاد فكيف تختلفون فى أمرهم وقد ردهم الله الى الكفر بعد الايمان بسبب ما كسبوه من الردة لقد أضلهم الله لسوء نيتهم ولعدم ايمانهم وثباته وردهم الى حكم الكفره .

(٢) لم يرتض القائد الاستعانة بقوم غير موثوق بتأييدهم ، وخاصة اذا كانت التجربه السابقة قد أثبتت عدم اخلاصهم .

(٣) وهنا يحقق القائد مبدأ هاما من مبادىء الحرب هو « السلامة » فيطلب أن تكون التحركات على طريق لا يراه العدو ، وبذلك يستطيع أن يصل الى هدفه سالما .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد فى عروة الوادى الى الجبل فجعل ظهره وعسكره الى أحد وقال لا يقاتلن أحد حتى آمره بالقتال (١) .

وتعبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهو فى سبعمائة رجل وأمر على الرماه عبد الله بن جبير وهو معلم يومئذ بثياب بيض والرماه خمسون رجلا فقال انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ان كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك (٢) .

وتعبأت قريش وهم ثلاثه آلاف رجل ومعهم مائتا فرس فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل وجعلوا على الخيل صفوان بن أميه وقيل عمرو بن العاص وعلى الرماه عبد الله بن أبى ربيعه وكانوا مائة ومعهم سبعمائة دارع والظعن خمس عشره امرأه وشاع خبرهم فى الناس ومسيرهم حتى نزلوا ذا الحليفة .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عينين له : أنسا ومؤنسا

---

(١) اتخذ القائد مكانه ، ونظم صفوفه ، ثم أصدر أمره بالثبات والاستعداد حتى تحين « ساعة الصفر » فيصدر أمره بالقتال .

(٢) لقد حدد القائد لكل قوة مكانها وواجبها ، وأصدر أمره الصريح لقائد الرماة عبد الله بن جبير أن لا يبارح مكانه ولا يتعدى حدود واجبه ، وهو تثبيت العدو ، مهما كانت النتيجه هزيمه أو نصرا .. وسنرى أن مخالفة القائد لهذا الأمر قد جاءت بأشد الأضرار .

فانتسل الناس حتى حميت الحرب .

قال الزبير بن العوام . وجدت فى نفسى حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانه فقلت والله لأنظرن ما يصنع فاتبعته فأخذ عصابة له حمراء فعصب بها رأسه وقالت الأنصار أخرج أبو دجانه عصابة الموت وهكذا كان يقول اذا عصب بها فخرج وهو يقول

أنا الذى عاهدنى خليلى ونحن بالسفح لدى النخيل

أن لا أقوم الدهر فى الكبول أضرب بسيف الله والرسول(١)

فجعل لايلقى أحدا الا قتله :

وكان فى المشركين رجل لايدع لنا جريحا الا دفف عليه (٢) ، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانه فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله .

ثم رأيته حمل بالسيف على رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها . وقال أبو دجانه رأيت انسانا يحمش (٣) الناس حمشا شديدا فعمدت اليه فلما حملت عليه السيف ولول.فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأه .

---

(١) الكبول ، بفتح الكاف وضم الباء . مؤخر الصفوف .
(٢) أجهز عليه .
(٣) حمشه أغضبه وهيجه وحرضه على القتال .

قال وحشى غلام جبير بن مطعم : والله انى لأنظر الى حمزة(١) الناس بسيفه فما يليق (٢) شيئا مثل الجمل الأورق .

وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل فأعطى رسول الله الراية على بن أبى طالب .

ودنا القوم بعضهم من بعض والرماة يرشقون خيل المشركين، وصاح طلحة صاحب اللواء من يبارز فبرز له على فقتله ثم حمل لواءهم عثمان بن أبى طلحة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره وبدا سحره (٣) ثم حمله أبو سعيد بن طلحة فرماه سعد بن أبى وقاص فأصاب حنجرته فقتله ثم حمله مسافع ابن طلحة فرماه عاصم بن ثابت فقتله ثم حمله الحارث بن طلحة فرماه سعد بن أبى وقاص فأصاب حنجرته فقتله ثم حمله مسافع ثم حمله الجلاس بن طلحة فقتله طلحة بن عبد الله. ثم حمله ارطاة ابن شرحبيل فقتله على بن أبى طالب . وكان آخر من أخذ اللواء منهم صواب فقاتل به حتى قطعت يداه ثم برك عليه فأخذه بصدره وعنقه حتى قتل عليه .

فلما قتل أصحاب اللواء انكشف المشركون منهزمين لا يلوون على شيء ونساؤهم يدعون بالويل وتبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاءوا حتى أجهضوهم عن العسكر ووقفوا ينتهبون العسكر ويأخذون ما فيه من المغانم .

---

(١) يهد : يرديهم ويهلكهم . ويروى « يهذ » بالذال المعجمة ، أى يسرع فى قطع لحومهم بسيفه .
(٢) ما يليق : ما يبقى .
(٣) سحره : صدره .

وتكلم الرماة الذين على عينين واختلفوا بينهم وثبت أميرهم عبد الله بن جبير فى نفر يسير دون العشره مكانه وقال :

لا أجاوز أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بغنى .

ووعظ أصحابه وذكرهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا . قد انهزم المشركون فما مقامنا ههنا . فانطلقوا يتبعون العسكر وينتهبون معهم وخلوا الجبل (١) .

ونظر خالد بن الوليد الى خلاء الجبل وقلة أهله فكر بالخيل، وتبعه عكرمة بن أبى جهل فحملوا على من بقى من الرماه فقتلوهم وقتل أميرهم عبد الله بن جبير وانتقضت صفوف المسلمين واستدارت رحاهم وجالت الريح فصارت دبورا وكانت قبل ذلك صبا . ونادى ابليس أن محمدا قد قتل واختلط المسلمون فصاروا يقتلون على غير شعار (٢) ويضرب بعضهم بعضا ما يشعرون به من

---

(١) تعتبر معركه أحد أكبر شاهد على أهميه « الضبط والربط » فى المعركه فان مخالفه أوامر القياده واحداث تغيير فى الخطه والجرى وراء الغنائم ، كل هذه ليست الا كسرا للقاعده العسكريه وتخطيما لتقاليدها واستهتارا بالنظام واهمالا للآداب العسكريه ... والنتيجة هى الضياع .

وبسبب مخالفة الضبط والربط تفرقت الصفوف وتمزقت الوحده ودارت الدائرة على المسلمين وحلت بهم الهزيمة بعد أن كان النصر قاب قوسين أو أدنى .

(٢) الشعار : كلمة السر التى يتعارف بها الجند .

العجلة والدهش . ونادى المشركون بشعارهم بالعزى وبالهبل فأوجعوا فى المسلمين قتلا ذريعا وولى من ولى منهم يومئذ .

قال موسى بن عقبة ولما فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل منهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فارجعوا الى قومكم فؤمنونكم قبل أن يأتوكم فيقتلونكم فانهم داخلو البيت (١) .

وقال رجل منهم لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا وقال آخرون ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل أفلا تقاتلون على دينكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله عز وجل شهداء .

وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم مازال يرمى عن قوسه حتى صارت شظايا ويرمى بالحجر وثبت معه عصابة من أصحابه أربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين فيهم أبو بكر الصديق وسبعة من الأنصار حتى تحاجزوا .

وروى البخارى لم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا .

وعن أبى طلحة : غشينا النعاس ونحن فى مصافنا يوم أحد فجعل سيفى يسقط من يدى وآخذه ويسقط وآخذه وكان يوم

(١) كان هذا العمل من أعمال الدعاية استغلالا بارعا للموقف ، فان نشر اشاعة مقتل القائد واثارة الفزع والفوضى والتهديد لما يعمل على تحطيم الروح المعنوية ولهذا قال قائل منهم لقد قتل رسولكم فارجعوا الى أهليكم ، أى سلموا ، فتأمنوا على أنفسكم قبل أن يقتلوكم ويدخلوا بيوتكم ..

بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة حتى خلص العدو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقذف بالحجارة حتى وقع لشقه وأصيبت رباعيته (١) وشج فى وجهه وكلمت(٢) شفته وكان الذى أصابه عتبة بن أبى وقاص .

وعن أنس بن مالك قال : كسرت رباعية النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فأنزل الله تبارك وتعالى فى ذلك :

(ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون (٣) .

ان عتبة بن أبى وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وأن عبد الله بن شهاب الزهرى شجه فى جبهته وأن ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فى وجنته ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرة من الحفر التى عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لايعلمون (٣) فأخذ على بن أبى طالب بيد رسول

---

(١) الرباعيه (على وزن ثمانية) . السن المجاورة للناب .
(٢) كلمت أى جرحت .
(٣) الآية ١٢٨ م آل عمران ٣ . المعنى : ليس لك يا محمد، من تدبير أمر العباد شيء ، فاما أن يتوب الله على المشركين واما يعذبهم ، فانهم ظالمون يستحقون العذاب .
(٤) من وسائل التمويه والاخفاء كان المشركون يلجأون الى عمل حفر وتغطيتها حتى لا يفطن اليها المسلمون فيقعون فيها .

الله صلى الله عليه وسلم ورفعــه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائمــا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله .

ونزع أبو عبيده بن الجراح احدى الحلقتين من وجه رســول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنيته ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى فكان ساقط الثنيتين .

وترس (١) دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجانه بنفسه يقع النبل فى ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل ورمى سعد بن أبى وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعد فلقد رأيته يناولنى النبل ويقول ارم ســعد فداك أبى وأمى حتى انه ليناولنى السهم ما له من نصل فيقول ارم به .

وكان كعب بن مالك أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الناس قتل رسول الله صلى الله عليــه وسلم قال عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر فنــاديت بأعلى صوتى يامعشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليــه وسلم فأشار لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنصت فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض

---

(١) ترس : اى دافع وجعــل من نفســه درعا لوقايه الرسول صلى الله عليه وسلم .

معه نحو الشعب أبو بكر وعمر وطلحة والزبير والحرث بن الصمة ورهط من المسلمين بايعوه على الموت . فلما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركه أبى بن خلف وهو يقول أين محمد لا نجوت ان نجا . فاعترض له رجال من المسلمين فأمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم فخلوا طريقه واستقبله مصعب بن عمير يقى رسول الله بنفسه فقتل مصعب وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوه أبى بن خلف من فرجة من سابغة الدرع والبيضة فطعنه بحربته فوقع أبى عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم ، ففى ذلك نزلت :

(وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) (١)

وبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب معه أولئك النفر من أصحابه اذ علت عالية من قريش الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه اللهم انه لاينبغى لهم أن يعلونا (٢) فقاتل عمر بن الخطاب ورهط من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل .

---

(١) « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم » الآيه ١٧ م الانفال ٨ .

(٢) استطاع المشركون أن يستولوا على موقع حاكم يسيطرون فيه على الموقف ، ولهذا دفع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعض صحابته لاجلاء هذا الموقع حتى لا يكون ثمه خطر يهدد جنوده ، وقد كشف بذلك عن بصيرة حربيه نافذة ، وقال برأى تلتزمه رجال الحربيه فى العصر الحديث .

ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة من الجبل ليعلوها فلم يستطع فجلس تحتــه طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها

ووقف هند بنت عتبة والنسوة اللاتى معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن الآذان والأنف حتى اتخذت هنــد من آذان الرجال وآنفهم خدما (١) وقلائد وبقرت عن كبد حمزة فلاكتهافلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها فقالت :

نحن جزينــاكم بيــوم بــدر	والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لى من صبر	ولا أخى وعمــــه وبكــر
شفيت نفسى وقضيت نذرى	شفيت وحشى غليل صــدرى
فشــكر وحشى على عمــرى	حتى ترم أعظمى فى قبــرى

فأجابتها هند بنت أثاثه بن عباد بن المطلب فقالت

خــزيت فى بدر وبعــد بدر	يا بنت وقاع عظيــم الــكفر
صــبحك الله غــداة الفجــر	بالهاشميين الطــوال الزهــر
بكل قطــاع حســام يفــرى	حمــزه ليثى وعلى صــقرى
اذ رام شــيب وأبوك غدرى	فخضبا منــه ضواحى النحر

ونذرك الســوء فشر نــذر

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب (٢)

---

(١) الخدم (جمع خدمه) الخلخال •
(٢) فى رواية ابن عائذ انه بعث سعدا بن أبى وقاص •

فقال اخرج في آثار القوم فانظر ما يصنعون وماذا يريدون فان كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الابل فانهم يريدون مكــة وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فهم يريدون المدينة . والذى نفسى بيده ان أرادوها لأسيرن اليهم فيها ثم لأناجزنهم .

قال على : فخرجت فى آثارهم أنظر ما يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الابل ووجهوا الى مكة وفرغ الناس لقتلاهم .

وسأل رسول الله عن سعد بن الربيع أفى الأحيــاء هو أم فى الأموات فوجدوه جريحا فى القتال وكان آخر ما لفظ به السلام على رسول الله . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس حمزه بن عبد المطلب فنظر الى شىء لم ينظر الى شىء قط كان أوجع لقلبه منه ونظر وقد مثل به فقال رحمة الله عليك فانك كنت ما علمتك فعولا للخيرات وصولا للرحم . والله لأمثلن بسبعين منهم ، فنزلت الآية :

« وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » (١) .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمع القتلى وصلى عليهم.

---

(١) الآيه ١٢٦ م النحــــل ١٦ المعنى اذا أردتم أن تنزلوا بخصومكم العقاب بسبب عدوانهم عليكم فليكن ذلك بقدر تعديهم عليكم دون زيادة وبغير اغراق فى الانتقام ، ولئن صبرتم على اذاهم فالصبر خير لكم وأجدى عليكم لأن دفع الشر بالخير أفضل من صدم الشر بالشر ، والعقبى للصابرين .

الذين استشهدوا يوم أحد

جميعهم ٩٦ منهم من المهاجرين أحد عشر ومن الأنصار خمسة وثمانون : من الأوس ثمانية وثلاثون ومن الخزرج سبعة وأربعون.

عن ابن اسحق : من المهاجرين أربعة ومن الأنصار واحد وستون (من الأوس أربعة وعشرون ومن الخزرج سبعة وثلاثون) .

وعن أبى عمر فى كتابه المغازى : أن قتلى أحد « سبعون » ومن الناس من يجعل السبعين من الأنصار خاصة وكذلك قال ابن سعد فى باب غزوة أحد لكنهم فى تراجم الطبقات له زادوا على ذلك ويذكر فى تفسير قوله تعالى (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها..) (١) انه تسلية للمؤمنين عمن أصيب منهم يوم أحد بأنهم أصابوا من المشركين يوم بدر سبعين قتيلا وسبعين أسيرا .

وقتل من كفار قريش يوم أحد ثلاثة وعشرون رجلا .

(١) « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند أنفسكم ان الله على كل شىء قدير » (الآية ١٦٥ م آل عمران) .

المعنى : أيها المسلمون ، لقد نزلت بكم نازلة يوم أحد ، فقتل منكم سبعون وكنتم انتصرتم يوم بدر وقتلتم من الكافرين سبعين وأسرتم سبعين ؟ فهل تريدون أن تعلموا سبب هزيمتكم فى أحد . السبب هو أنكم تركتم موقعكم الذى أمركم به رسول الله وأسرعتم وراء الغنائم فدارت عليكم الدائرة .

ومما قيل فى الشعر يوم أحد قول حسان بن ثابت يذكر أصحاب اللواء من بنى عبد الدار :

تسعة تحمل اللواء وطارت ... فى رعاع من القنا مخزوم
وأقاموا حتى أتيحوا جميعا ... فى مقام وكلهم مذموم
وأقاموا حتى أزيروا شعوبا(١) ... والقنا فى نحورهم محطوم
وقريش تفر منا لواذا (٢) ... أن يقيموا وخف منها الحلوم

وقال يبكى حمزة :

دع عنك دارا قد عفا رسمها ... وابك على حمزة ذى النائل
المالىء الشيزى اذا أعصفت ... غبراء فى ذى الشبم الماحل
والتارك القرن لذى لبدة ... يعثر فى ذى الخرص الذابل
واللابس الخيل اذا أحجمت ... كالليث فى غابته الباسل
أبيض فى الذروة من هاشم ... لم يمر دون الحق بالباطل
مال شهيدا بين أسيافكم ... شلت يدا وحشى من قاتل
أظلمت الأرض لفقدانه ... واسود نور القمر الناصل
صلى عليه الله فى جنة ... عالية مكرمة الداخل

(١) موتا .
(٢) فرارا .

وقال كعب بن مالك يذكر يوم أحد :

جالوا وجلنا فما فاءوا ولا رجعــوا
ونحن نتبعهـــم لم نأل في الطلب
لسنـــا ســـواء وشتـــى بين أمرهما
حزب الاله وأهل الشرك والنصب

. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهـــار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا ياليت اخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ، ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله تبارك وتعالى ، فأنا أبلغهم عنكم فأنزل الله عز وجل على نبيه هذه الآيات :

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء) (١)

---

(١) « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهـــم ولا يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين . » (الآيات ١٦٩ ــ ١٧١ م آل عمران ٣) .

المعنى لا تظن أن الذين استشهدوا وهم يجاهدون العـــدو أموات كغيرهم ممن ينتهى أجلهم ولكنهم احياء قريبون من ربهـــم في جنته سعداء بما أضفى الله عليهـــم من فضل واحســـان =

غزوة حمراء الأسد

وهى صبحه يوم الأحد لست عشره مضت من شوال :

وأذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس بطلب العدو ، وأذن مؤدنه أن لا يخرج معنا أحد الا أحد حضر يوما بالأمس .

وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم أنه خرج فى طلبه ليظنوا به قوة وان الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم . فخرج — رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى الى حمراء الأسد — وهى من المدينه على ثمانيه أميال . وكان معبد بن الخزاعى قد رأى خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين الى حمراء الأسد ولقى أبا سفيان وكفار قريش بالروحاء فأخبرهم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبهم ففت ذلك فى أعضاد قريش وقد كانوا أرادوا الرجوع الى المدينة فكسرهم خروجه صلى الله عليه وسلم فسادوا الى مكه

= ويستبشرون باخوانهم الذين استمروا فى جهادهم بعد أن يس لهم أمر الآخره وما فيها من خير عميم . ان الله لا يضيع جهاد المؤمنين الذين على الرغم مما أصابهم من هزيمة ونكبات فى وقعة أحد نفروا الى الحرب عندما دعاهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فالذين أحسنوا منهم وجاهدوا لهم أجر عظيم عند ربهم .

ودعا رسول الله بلوائه وهو معقود لم يحل فدفعه الى على ابن أبى طالب وخرج وهو مجروح فى وجهه ومشجوج فى جبهته ورباعينه قد شظيب (١) وشفته السفلى قد كلمت فى باطنها وهو متوهن مكبه وركبناه مجحوشتان .

وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وخرج النـاس معه فبعث بلاثه نفر من أسلم طلبعة (٢) فى آثار القوم فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الأسد فقلوهما .

(١) كان بوجهه وجبهته جروح كما أن رباعيته حدث بها كسر وشفته السفلى تورمت من الجرح وفكه مصاب وكذلك ركبتاه .. وذلك مما حدث له من اعتداء المشركين عليه فى وقعة أحد .
(٢) الطليعه المقـدمة والمقصود بأفرادها أن يقـوموا بالاستطلاع وكشف آثار العدو .

سَرِيَّةُ أَبِي سَلِمَةَ بْنِ عَبْدِ ٱلْأَسَدِ

فى هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا :

بلع رسول الله صلى الله عليـه وسلم أن طلبحة وسلمة ابنى خويلد فد سـارا فى فومهما ومن أطـاعهما سعونهم الى حرب رسول الله صلى الله علىه وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليـه وسلم أبا سلمة بن عبد الأسد المحرومى وعفـد له لواء وبعث معه مائة وخمسس رجلا من المهاحرين والأنصار رفال سر حتى تنزل أرض سى أسد فأعر علىهم قبل أن تلاقى علىك جموعهم . فخرج فأعد (٣) فى السر ونكب عن سس الطرىق وسىق الأحبار وانتهى الى أدنى فطن فأغار على سرح لهم فضمه رعاء لهم ممالىك ثلاثه وأفلت سائرهم فجاءوا جمعهم فحذروهم فىفرقوا فى كل ناحىة ففرق أبو سلمة أصحابه ثلاث فرق فى طلب النعم والنساء

---

(٣) اغد · أسرع ·

فآبوا اليه سالمين فد أصابوا ابلا وشاء ولم يلقوا أحدا فانحدر أبو سلمة بدلك كله الى المدينة (١) .

---

(١) هده السريه صوره لما يطلق عايه اليوم داوريه استطلاع تشكل مں عدد قليل من الأفراد حف حملهم ، لا يدفعون للقتال الا اصطرارا لمحرد الدفاع عں النفس والتحلص مں العدو . وانما مهمتهم الأصليه هي الحصول على معلوماب عں العدو ، عں مكانه وأسلحته وعدده وحططه ومحاوله أسر بعض رحاله أو اسلحته. ومما يلاحط فى سريه أبى سلمة أں التعليماب التى تلقاها تتصمں عدم الاشتباك مع العدو حيث أں دلك ليس مما يدحل فى رسالة هده السريه المحدودة العدد والسلاح ، وانه يحددب لهدا القائد طريقه ومهمته وتنبه عليه بعدم التورط فى القتال ٠٠ وليس أكثر مں هدا ولا أدق مں هدا بقوله القائد العصرى فى يومنا هدا لقائد داوريه الاستطلاع .

سَرِيَّة عَبدِ اللّٰه بنِ أُنَيس

يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من مهاجره :

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سفيان بن خالد الهذلى بعرنة قد جمع الجموع لرسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أنيس ليقتله وقال صفه لى يارسول الله . فقال اذا رأيته هبته وفرقت منه (١) قال وكنت لا أهاب الرجال فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقوم فأذن لى فأخذت سيفى وخرجت أعترى (٢) الى خزاعة حتى

---

(١) خفت منه .

(٢) عمل جرىء من أعمال الفدائيين الذين يتخفون فى سيرهم ويدخلون على العدو فى عرينه ويقومون بعمل خطر كقتل أحد المسئولين أو تدمير أحد المرافق الحيوية .

ومما يلاحظ فى هذا التوجيه أن الروح المعنوية كانت على أشدها ، فان عبد الله بن أنيس كاد يعلم من الرسول — صلى الله عليه وسلم — مهمته الخطيرة وهى قتل رجل رهيب حتى صدع بالأمر على الفور وانطلق وراء هدفه لا يبالى .. قال له اقتله — وهو يعلم أنه فى عقر داره وبين رجاله — فذهب وقتله !.

اذا كنت بطن عزته لفينه يستى ووراءه الأحابيس ومن ضوى(٣) اليه فعرفته بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبه فرآيني اقمر عرقا فقلت صدق الله ورسوله . فقال من الرجل فقلت رجل من بني خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك قال، أجل انى لأجمع له . فمشيت معه ساعة وحدثته فاستحلى حديثى حتى انتهى الى خبائه (٤) وتفرق عنه أصحابه حتى اذا هدأ الناس وناموا اغتررته فقتلته وأخذت رأسه ثم دخلت غارا في الجبل وضربت العنكبوت على وجاء الطلب فلم يجدوا شيئا فانصرفوا راجعين ثم خرجت فكنت أسير الليل وأتوارى بالنهار (١) حتى قدمت المدينة فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فلما رآني قال أفلح الوجه قلت أفلح وجهك يارسول الله ، فوضعت رأسه بين يديه وأخبرته خبري .

---

(٣) آوى اليه .

(٤) مسكنه أو خيمته .

(١) وهكذا كانت العمليات الليليه معروفه في أيام العرب يلجأ اليها المحارب امعانا في الاستتار من العدو وتقديرا لمبدأ المفاجاة . وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول وادرعوا الليل فانه أخفى للويل .

بعث الرجيع

وكان فى صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من مهـاجره صلى الله عليه وسلم :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصارى حتى اذا كانوا بالهدأة بين عسفـان ومكة ذكروا لحى من هذيل يقـال لهم بنو لحيـان فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام . فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر فى منزل نزلوه فقالوا تمر يثرب فاتبعوا آثارهم . فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجأوا الى موضع فأحاط بهم القوم فقـالوا انزلوا فأعطوا بأيديكم ولـكم العهد والميثـاق أن لا نقتـل منكم أحدا

قال عاصم بن ثابت أيها القوم أما أنا فلا أنزل فى ذمة كافر . ثم قال اللهم أخبر عنا نبيك فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما ونزل اليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق منهم خبيب وزيد بن الدثنة ورجل آخر فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم

بها ففال الرجل الثالث هذا أول العدر والله لا أصحبكم ان لى بهؤلاء أسـوه ــ بريد القتلى ــ فجروه وعالجـوه فأبى أن يصحبهم فانطلق بخبيب وريد حتى باعوهما .

وابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيبا ، وكان خبيب هو الدى قتل الحارث بن عامر يوم بدر فلبث حبيب عندهم أسيرا حتى أجمعوا على قتله فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه فى الحل قال لهم خبيب دعونى أصل ركعتين فتركوه فركع ركعتين وقال والله لولا أن تحسبوا أن ما بى جزع لزدت . ثم قال اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا ثم أنشأ يقول :

فلست أبالى حين أقتل مسلما　　على أى جنب كان فى الله مصرعى

قِصَّةُ بِئْرِ مَعُونَةَ

وكان فى صفر على رأس أربعة أشهر من أحد

قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الاسلام ودعاه اليه فلم يسلم ولم يبعد عن الاسلام . وقال يا محمد لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد فدعوتهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أخشى أهل نجد عليهم . قال أبو براء أنا لهم جار فابعثهم ليدعوا الناس الى أمرك . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو فى أربعين من أصحابه من خيار المسلمين فساروا حتى نزلوا بئر معونة ، وهى بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم كلا البلدين منها قريب وهى الى حرة بنى سليم أقرب ، فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عدو الله عامر بن الطفيل فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى عدا على الرجل فقتله . ثم استصرخ عليهم بنى عامر فأبوا أن يجيبوه الى ما دعاهم اليه وقالوا لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم

قبائل من سليم عصبة ورعلا فأجابوه الى ذلك ثم خرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم فلما رأوهم أخذوا سيوفهم فقاتلوهم حتى قتلوا الى آخرهم رحمهم الله الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث (١) من بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا رحمه الله (٢) .

---

(١) ارتث أى انتشل جريحا وبه رمق .

(٢) أمام هذه الوقعة – التى ذهب ضحيتها أربعون من خيار المسلمين – وغيرها من الوقائع التى كانت قاسية عليهم نشعر بقسوة الجهاد وفداحة التضحيات ؛ فما كانت حياة الرسول – صلى الله عليه وسلم – كلها انتصارات وما تقدمت دعوته فى يسر وانما كان الجهاد ديدن المسلمين والتضحية ثمن النصر ، وقد لقى المسلمون الظلم والتعذيب والموت ، ليس فقط فى بدء الدعوة ، ولكن فى كافة أدوار الجهاد ، ولما دخلوا ساحة الحرب ذاقوا النصر وعرفوا الهزيمة ، فلا يظنن أحد أن الطريق كان مرصوفا والرحلة ممتعة .. وانما وصل المسلمون الى الوحدة والحرية والكرامة بفضل الجهاد والعناء والتضحية .

غزوة بني النضير

في شهر ربيع الأول على رأس خمسة أشهر من وقعة أحد .

خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى بني النضير يستعينهم في دية القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى للجوار الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقده لهما ، وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف . فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم في ديتهما قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ؛ ثم خلا بعضهم ببعض وقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه — ورسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنب جدار من بيوتهم قاعد — فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه . فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم فقال أنا لذلك . فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال ، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم . فقال سلام بني مشكم

ـ يعنى لليهـود ـ لا تفعلوا والله ليخبـرن بما هممتم ، وانه لنقض العهد الذى بيننا وبينه (١) .

فقام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) راجعا الى المدينة فلما استلبث النبى (صلى الله عليه وسلم) أصحابه قاموا فى طلبه فلقوا رجلا من المدينة مقبلا فسألوه فقال رأيته داخلا الى المدينة فأقبل أصحاب النبى (صلى الله عليه وسلم) حتى انتهوا اليه فأخبرهم الخبر بما كانت أرادت يهود من الغدر به .

ونزل فى ذلك :

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قـوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (٢) .

---

(١) رواية ابن سعد عن بنى النضير انهم حين هموا بغدر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأعلمه الله بذلك ونهض سريعا الى المدينة بعث اليهم محمد بن مسلمة أن اخرجوا من بلدى فلا تساكنونى بها وقد هممتم بما هممتم به من الغدر . وقد أجلتكم عشرا فمن رؤى بعد ذلك ضربت عنقـه فمكثوا على ذلك أياما يتجهزون . فأرسل اليهم ابن أبى لا تخرجوا من دياركم وأقيموا فى حصونكم فان معى ألفين من قومى ومن العرب يدخلون حصنكم فيموتون عن آخرهم وتمدكم قريظة وحلفاؤهم من غطفان . وطمع حيى فيما قال ابن أبى ، وأرسل الى رسول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ : انا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك .

(٢) الآية : ١١ م المائدة ٥ . المعنى يا أيها المؤمنون ان الله ينعم عليكم برحمته وفضله ورعايته أذكروا نعمته عليكم اذ اعتزم القوم أن يبطشوا بكم فدفعهم الله عنكم .

آمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالتهيؤ لحربهم والسير اليهم ثم سار بالناس حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليال . ونزل تحريم الخمر فتحصنوا منه في الحصون فأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقطع النخل والتحريق فيها فنادوا أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها (١) وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج بعثوا الى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان أخرجتم خرجنا معكم .

فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا (٢) وقذف الله

---

(١) لم يكن قطع النخيل وتحريقها من الفساد وانما كان من مقتضيات الموقف ، فقد نقض اليهود العهد وأعملوا حيلهم وكادوا يفتكون بالنبي – صلى الله عليه وسلم – فساق الحرب الى ديارهم وحاصرهم وكان عليه ان يعجل بهزيمتهم اختصارا للتضحيات والوقت والدماء . ونزلت سورة الحشر فأيدت هذا المعنى وأظهرت أن ما حدث كان بامر الله لنكاية اليهود .

(٢) كان استعداد اليهود للقتال على زعم ان لهم حلفاء ينصرونهم ولكن قريظة اعتزلتهم فلم تعنهم ، وخذلهم ابن أبي وحلفاؤهم من بني غطفان فيئسوا من نصرهم وقالوا نحن نخرج عن بلادك فقال لا أقبله اليوم ولكن اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الابل الا الحلقه (أي الأسلحه) فنزلت يهود على ذلك .

فى قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الابل من أموالهم الا الحلقه (١) . ففعل .

فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الابل فكان الرجل يهدم بيته عن نجاف (٢) بابه فيضعه على بعيره وينطلق به فخرجوا الى خيبر ومنهم من سار الى الشام .

وخلفوا خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفا . أما أموالهم فكانت لرسول الله خاصة يضعها حيث يشاء .

فلما غنم الرسول (صلى الله عليه وسلم) بنى النضير دعا ثابت بن قيس فقال ادع لى قومك فقال ثابت الخزرج يارسول الله قال الأنصار كلها فدعا له الأوس والخزرج . قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للأنصار ليست لاخوانكم من المهاجرين أموال فان شئتم قسمت هذه وأموالكم بينكم وبينهم جميعا وان شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه فيهم

---

(١) الحلقه السلاح كله .

(٢) النجاف العتبة بأعلى الباب .

خاصة فقالوا بل اقسم هذه فيهم واقسم لهم من أموالهم ماشئت فنزلت ·

(للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) (١) ·

وهى من آيات سورة الحشر (٢) التى نزلت فى أمر بنى النضير (٣) ·

---

(١) الآيتان ٨ ، ٩ الحشر ٥٩ ·

(٢) وفيها هذه الآيات الكريمة

« هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار. ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار . ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب » . (٢ ، ٣ ، ٤ الحشر ٥٩) ·

(٣) كان بنو النضير قد عاهدوا الرسول — صلى الله عليه وسلم — بأن يكونوا لا معه ولا عليه ، فلما انهزم المسلمون فى أحد نكثوا عهدهم وحالف بعض رؤسائهم خصوم المسلمين وهموا بقتل الرسول — صلى الله عليه وسلم — فحاربهم وحاصرهم واجلاهم ·

غزوة ذات الرقاع

أقام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد غـروه بنى النضير شهر ربيع ، ثم غزا نجدا يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان واستعمل على المدينه أبادر الغفارى — ويقال عثمان ابن عفان فيما قال ابن هشام — حتى نزل نخلا ، وهى غزوة ذات الرقاع — وسمت بذلك لأنهم رفعوا فيها راياتهم ، ويقال ذات الرقاع شجره بذلك الموضع ، وقيل لأن أقدامهم نقبت فكانوا يلفون عليها الخرق ، وقيل بل الجبل الذى نزلوا عليه كانت أرضه ذات ألوان تشبه الرقـاع — فلقى بها جمعا من غطفان فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب وقد خاف الناس بعضهم بعضا حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صـلاة الخوف ثم انصرف بالناس .

غزوة بدر الأخيرة

قدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المدينه من غزوه ذات الرقاع فأقام بها نصف جمادى الأولى الى آخر رجب ثم خـرج فى شعبان الى بدر لميعاد ابى سفيان حتى نزله . واستعمل عـلى المدينه عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول الأنصارى . فأقام عليه ثمانى ليال ينتظر أبا سفيان وخرج أبو سفيان فى أهل مكة

حتى نزل مجنة من ناحية الظهران — وبعض الناس يقول قد بلغ عسفان ــ ثم بدا له فى الرجوع فقال يامعشر قريش انه لا يصلحكم الا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وان عامكم هذا عام جدب وانى راجع فارجعوا . فرجع النــاس ثم انصرف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى المدينة .

وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد خرج فى هــذه الغزوة فى ألف وخمسمائة من أصحابه وكانت الخــيل عشرة أفراس . وكان استخلف على المدينة عبدالله بن رواحة .

غزوة دومة الجندل

غزا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دومة الجندل فى شهر ربيع الأول ثم رجع قبل أن يصل اليها ولم يلق كيدا وأقام بالمدينة بقية سنته . فال ابن سعد قالوا بلغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن بدومة الجندل جمعا كثبرا يظلمون من مر بهم وأنهم يريدون أن يدنوا من طرف المدبنة (١) وهى طرف من أطراف الشام ببنها وبين دمشق خمس ليال وبيها وبين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة فندب رسول الله (صلى الله عله وسلم) الناس وخرج لخمس لىال بقين من شهر ربيع

---

(١) تعتبر هده العملية عملية استراتيجية لأنها استهدفت تطهير بقعة حيويه من العدو الذى يتهددها ، فلما هم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعزوها نفر الكفار وجلوا عنها فأمنت من شرهم وسلمت البقاع المحاورةوداعت هده الأخبار فى كافة الأنحاء ففويت كلمة المسلمين .

الأول فى ألف من المسلمين وكان يسير الليل ويكمن بالنهار (١) فلما دنا منهم اذ هم مغربون واذا آثار النعم والشاء فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب منها من أصاب وهرب من هرب فى كل وجه وجاء الخبر أهل دومة فتفرقوا ونزل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بساحتهم فلم يلق بها أحدا فأقام بها أياما وبث السرايا وفرقها فرجعت ولم تصب منها أحدا ورجع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى المدينة لعشر ليال بقين من شهر ربيع الآخر .

---

(١) وهكذا كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعمل بفكر القائد الموفق ويأخذ بطريقة القتال الليلى امعانا فى التستر وتطبيقا لمبدأ الوقاية وتجهيزا للمفاجأة ، وهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ القائد ـ قبل أن يفطن القادة العصريون لأهمية القتال الليلى ـ وادرعوا الليل فانه أخفى للويل .

غزوة الخندق

ثم كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس — وقال ابن سعد فى ذى القعدة — كان من حديث الخندق أن نفرا من يهود حزبوا الأحزاب ضد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خرجوا حتى قدموا على قريش مكة يدعونهم الى حرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قالوا انا سنكون معكم حتى نستأصله فقالت لهم قريش يا معشر يهود : انكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه ، أفديننا خير أم دينه قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه ، فأنزل الله تعالى فيهم . (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) (١) .

---

(١) ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا . أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا . أم لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا . أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما . فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا . (٥١ – ٥٥ النساء ٤) .

(المعنى) عجبا لأمر هؤلاء اليهود الذين اعطوا حظا من الكتاب وقد دفعهم الغى الى ممالأة الكافرين الى حد انهم يشهدون للأصنام والأوثان ويتملقون الكفار لكى يصلوا الى =

فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله (صـلى الله عليه وسلم) فاجتمعـوا لذلك واتعدوا له ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم الى حرب الرسول (صلى الله عليه وسـلم) وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه وأن قريشا قد بايعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فيه .

وتجهزت قريش وجمعوا أحابيشـهم (١) ومن تبعهم من العرب فكانوا أربعة آلاف وعقدوا اللواء فى دار الندوة وحمله عثمان بن طلحة وقادوا معهم ثلثمـائة فرس وكان معهـم ألف وخمسمائة بعير وخرجوا يقودهم أبو سفيان بن حرب . وخرج معهم بنو سليم(٢) وكانوا سبعمائة يقودهم سفيان بن عبد شمس

= أهدافهم فيقولون لهم على محمل المجاملة والخداع ـ ان عبادة الأوثان أفضل وأرشد من عـبادة الله التى يدعو اليهـا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهؤلاء بعيدون عن رضا الله ورحمتـه وقد صب الله عليهم نقمته ولعنهم ولهم سوء المصـير ولن يجدوا ناصرا ينصرهم من دون الله . فهل هم يحسدون المسـلمين على فضل الله عليهم بالنبوة وما العجب فى ذلك فقد منحنا آل ابراهيم من قبل ـ وهم أسلاف محمد ـ الكتاب والحكمة وملكا عظيما .

ولذلك فقد انقسموا أمام هذا المفترق قسمين ، منهم من آمن بمحمد ومنهم من صد عنه ، ومن صد عنه فمآله جهنم .

« والجبت اسم صنم ، والطاغوت ما يعبد من دون الله » .

(١) تابعيهم .

(٢) بنو سليم ، وبنو أسد ، وفزارة ، وأشجع ، وبنو مرة من القبائل ذات الشأن ، وهم الذين أطلق عليهم « الأحزاب » .

وخرجت معهم بنو أسد يقودهم طليحة بن خويلد الأسدى ، وخرجت فزارة فأوعبت وهم ألف يقودهم عيينة بن حصن ، وخرجت أشجع وهم أربعمائة يقودهم مسعود بن رخيلة وخرجت بنو مرة وهم أربعمائة يقودهم الحرث بن عوف فكان جميع القوم الذين وافوا الخندق ممن ذكر من القبيلة عشرة آلاف وهم الأحزاب وكانوا ثلاثة عساكر (١) وعناج (٢) الأمر الى أبى سفيان .

فلما بلغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ندب الناس وأخبرهم خبر عدوهم وشاورهم فى أمرهم فأشار عليه سلمان بالخندق فأعجب ذلك المسلمين وعسكر بهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى سفح سلع وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف .

وضرب على المدينه الخندق فعمل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ترغيبا للمسلمين فى الأجر ، وعمل معه المسلمون فيه فدأب ودأبوا ، وأبطأ عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعن المسلمين فى عملهم ذلك رجال من المنافقين وجعلوا يورون بالضعف من العمل ويتسللون الى أهليهم بغير علم من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولا اذن وجعل الرجل من المسلمين اذا نابته نائبة من الحاجة التى لابد له منها يذكر ذلك لرسول

---

(١) كانت هذه القوة مشكلة فى ثلاثة جيوش متحفزة للقتال.
(٢) عناج الأمر : أى لواء القيادة .

لله (صلى الله عليه وسلم) ويستأذنه من اللحوق بها فاذا قضى حاجته رجع الى ما كان عليه من عمله رغبة فى الخير واحتسابا به .

فأنزل الله عز وجل فى ذلك :

(انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم . لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) (١) .

---

(١) الآيتان : ٦٢ ، ٦٣ م النور ٢٤ .

المعنى : هذا تنظيم بلغ الغاية فى العلاقة بين القائد وجنوده ـ وفى الميدان بصفة خاصة ـ فالقائد والجنود هنا على أمر جامع هو التجهيز لدحر العدو . فلا يصح لأحد أن يبارح مكانه أو يتوقف عن العمل المنوط به قبل أن يستأذن من القائد . فالذى يعمل هذا ويستأذن عند الحاجة هو المؤمن حقا برسالته . المؤمن بالحق المتمسك بآداب الجندية الصحيحة . وللقائد أن يأذن أو لا يأذن حسب مقتضيات الموقف فهو أدرى من غيره «بالموقف العام» .

وعلى الجندى أن يخاطب قائده بلهجة مؤدبة لا يرفع صوته ولا يناديه كما ينادى باقى النفر من زملائه فان للقائد احترامه وهيبته فلا تقل للقائد يا محمد ولكن قل يارسول الله ، وفى =

ولما فرغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال وغطفان ومن تبعهم بذنب نقمى (١) الى جانب أحد وخرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع (٢) فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هناك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالنساء والدرارى أن يجعلوا فى الآطام (٣) .

وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة ولواء الأنصار بيد سعد بن عبــادة وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يبعث سلمة بن أسلم فى مائتى رجل وزيد بن حارثة فى ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة ، وكان عباد بن بشر على حرس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وكان المشركون يتناوبون بسهم فيغدو أبو سفيان بن حرب فى أصحابه يوما ويغدو خالد بن الوليد يوما ويغدو عكرمة بن أبى جهل يوما ويغدو ضرار بن الخطاب الفهرى يوما فلا يزالون

= هذا تحريم عن ذكر اســمه عليه الصلاة والسلام دون وصفه بالرسالة أو النبوة .

أما الدين يخرجون خفيه ومن غير اذن فانهم مارقون مخالفون (يتسللون لواذا أى خفـــة وزوعانا) ونتيجة ذلك وبال على المخالفين ، لان ذلك اضرار بالعمل لا يرضاه الله . . وللمخـــالفين والمارقين عذاب اليم .

(١) جبل قريب من أحد .

(٢) مكان جاء ذكره من قبلُ فى جوار أحد .

(٣) الأبنية المرتفعة .

يجلون خيلهم ويتفرقون مرة ويجتمعون أخرى ويناوشـون أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويقدمون رماتهم فيرمون .

وبعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى قائدى غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح الا المراوضـة فى ذلك . فلما أراد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن نفعل بعث الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يذكر ذلك لهما واستشارهما فيه فقالا :

يا رسول الله آأمرا تحبه فنصنعه أم شيئا أمرك الله به لابد لنا من العمل به أم شيئا تصنعه لنا .

قال (صلى الله عليه وسلم) : بل شيء أصنعه لكم . والله ما أصنع ذلك الا أنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم الى أمر ما (١) .

---

(١) اذا راجعنا هذا الموقف من وجهة النظر الحربية الصرفة وجدنا ان « قائد جيش المسلمين » قد أجرى تقديرا للموقف ، ووضع فى حسابه الحقائق الآتية :

أولا ، بالنسبة للعدو :

- العدو متفوق فى العدد والعدة .
- يتخذ خطة الهجوم ويملك حرية الحركة والمناورة =

فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه . وهم لا يطمعون أن يأكلوا ثمرة الا قرى أو بيعا فحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه ، نعطيهم أموالنا . مالنا

● الروح المعنوية عالية ، وخاصه بعد الانتصار فى واقعة أحد .

● ينظر الى المعركة باهتمام كبير ويعلق عليها الأمل فى استعادة المجد الضائع .

ثانيا ، بالنسبه للمسلمين .

● أقل عدة وعددا .

● يتحدون خطه الدفاع ، ولا يملكون ميزة المبادأة ولا حرية العمل .

● الروح المعنويه عند المدافعين أقل منها عند المهاجمين ، وتتأثر تدريجيا كلما طال وقت الحصار .

● ان روح الايمان لم تتغلغل فى نفوس الجميع ، وعلى الرغم من أن الغالبيه عميقه التأثر بالرسالة ماضية فى الجهاد الى النهاية الا أن هناك جماعات لم يكمل ايمانها ولم تكتمل عقيدتها ، بعضهم يتردد وبعضهم لا يصبر .

● ان المعركة فاصلة سيكون لنتيجتها اثرخطير فى مستقبل الفريقين ولهذا رأى القائد أن يحاول شطر عدوه ، واخراج بعض قواته من المعركة بالحيلة والرشوة ـ والحرب خدعة ـ فشرع فى ذلك حتى يتفادى هزيمة ماحقة .

● ولم يشأ القائد أن ينفرد وحده بالخطة بل دعا أركان حربه يستشيرهم فيما عقد العزم عليه فراجعوه فى الرأى واختلفوا معه فى الخطة بأسلوب بلغ الغاية فى احترام القيادة وتقديس حرية الرأى . أما القائد فبلغ بدوره الغاية فى النزول عند رأى مستشاريه عندما أوضحوا له صحة رأيهم واقتنع برجاحة تفكيرهم .

بهذا من حاجة . والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأنت وذاك :

فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال ليجهدوا علينا .

وأقام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والمسلمون ، وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال الا أن فوارس من قريش تلبسوا القتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا : تهيأوا يا بني كنانة للحرب فستعلمون من الفرسان اليوم .

ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا :

والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها .

ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيلهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع . وخرج على بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم . وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم .

وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثخنته الجراحة فلم يشهد يوم أحد فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه ، فلما وقف هو وخيله قال من يبارز فبرز له على بن أبي طالب .

وقد روى فى ذلك أن عمرا لما نادى بطلب من يبارزه قام على رضى الله عنه وهو مقنع فى الحديد فقــال : أنا له يا نبى الله . فقال له اجلس انه عمرو . ثم كرر عمرو النداء وجعل يـؤنبهم ويقول أين جنتكم التى تزعمون أنه من قتل منكم دخلها . أفلا تبرزون لى رجلا . فقام على فقال · أنا يارسول الله . فقال : اجلس انه عمرو .

ثم نادى الثالثة وقال ·

ولقــــد بححت من النـداء ... بجمعكـــــم هـــل من مبارز
ووقفت اذ جــــبن المشـــجع ... وقفـــــة الرجـــــل المناجــز
وكـــــذاك أنى لـــــم أزل ... متسرعا قبـــــل الهـــــزاهز
ان الشـــــــجاعة فى الفـــتى ... والجود من خـــير الغـــرائز

فقام على فقال أنا له يارسول الله . فقال : انه عمرو . فقال : وان كان عمرا . فأذن له رسول الله (صلى الله عليــه وســلم) فمشى اليه على وهو يقول :

لا تعجـــــلن فقــد أتـــــاك ... مجيب صــــوتك غير عاجــز
ذو نيـــــة وبصـــــيرة ... والصـــدق منجى كـــل فائز
انى لأرجـــــو أن أقيــــم ... عليــك نائحــــة الجنائــــز
من ضربة نجـــــلاء يبقى ... ذكـــرها عنــــــد الهـــــزاهز

فقال عمرو : من أنت . قال أنا على .

قال : ابن عبد مناف . قال : أنا على بن أبى طالب .

قال : غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك فاني أكره أن أهريق دمك .

فقال على : لكني والله ما أكره أن أهريق دمك .

فغضب عمرو ونزل وسل سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو على مغضبا ، فاستقبله على بدرقته فضربه عمرو فيها فصدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه . فضربه على على حبل العاتق فسقط وثار العجاج وسمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) التكبير فعرف أن عليا قد قتله .

قال سعد بن معاذ :

اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقني لها فانه لا قوم أحب الى أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وأخرجوه وكذبوه . اللهم ان كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعل لى شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة (١) .

وقد جهز المشركون نحو رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كتيبة عظيمة غليظة فقاتلوهم يوما الى الليل فلما حضرت العصر دنت الكتائب فلم يقدر النبى (صلى الله عليه وسلم) ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على ما أرادوا

---

(١) هذه صورة لجندي مسلم ومجاهد قوى أمين يؤمن بالهدف الذي يحارب من أجله ، وقد أعد نفسه لاحدى نهايتين الانتقام من العدو ودحره أو الاستشهاد فى الحرب ضده وأنه ليلقى قرير العين فى سبيله مايعتقده ويقبل على الموت راضيا وهو يؤدى واجبه .

فانكفأت مع الليل فزعموا أن رسـول الله (صـلى الله عليه وسلم) قال شغلونا عن صلاة العصر ملأ الله بطونهم وقبورهم نـارا (١) .

وأقام أسيد بن الحضير على الخندق فى مائتين من المسلمين، وكر خالد بن الوليد فى خيل من المشركين يطلبون عزة المسلمين فناوشوهم ساعة ، ومع المشركين وحشى ، فزرق الطفيل بن النعمان من بنى سلمة بمزارفه فقتله وانكشفوا ، ولم يكن لهم بعد ذلك قتال جميعا حتى انصرفوا ، الا أنهم لا يدعون الطلائع بالليل يطمعون فى الغارة (٢) .

ثم وقع الخلف بين الحلفاء الكفار ، وطال بهم أمد الحصار واشتدت عليهم الريح فلم يستطيعوا صبرا ، وكان النبى (صلى الله عليه وسلم) قد أرسل عـونا تجمع له الأخبار . وروى أن أبا سفيان جمع القوم فقال :

---

(١) شغل هجوم العدو النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الصلاة ، ولم يؤثر النبى الصلاة على الحرب ! بل أخذ فى أمور القتال حتى فاتته صلاة العصر والمغرب والعشاء ، وهو عليها جد حريص لانها من أركان الاسلام ، وبذلك وضـع التقليد السليم للمسلمين ألا يشغلوا عن الصـلاة فى الحرب فهى خير وبركة .. الا اذا كانت معركة ! ولا بأس اذا احتدم القتال من الانشغال عن الصلاه فى مواقيتها حتى يهدأ وطيسها ولا يكون ثمة خطر ماثل .

(٢) هذا مبدأ من مبادىء الحرب المعروفة « السـلامة » وتقضى بايجاد قوة متيقظة لدفع غارات العدو المفاجئة !

يا معشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، ولقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة . ولقينا من هـذه الريح ما ترون ، ما يستمسك لنا بناء و لاتثبت لنا قدر ولا تقوم لنا نار فارتحلوا فانى مرتحل .

ووثب على جمله فما حل عقال يده الا وهو قائم .

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين أجلى الأحزاب:

الآن نغزوهم ولا يغزوننا . نحن نسير اليهم .

وأقام عمرو بن العاص وخـالد بن الوليـد فى مائتى فارس ساقه لعسكر المشركين ورداء لهم مخافة الطلب (١) .

وفى غزوة الخندق قال حسان بن ثابت :

ساروا بجمعهمو اليـه وألبوا — أهل القرى وبوادى الأعراب
جيش عيينة وابن حرب فيهمو — متخمطون بحلبة الأحـزاب
حتى اذا وردوا المدينة وارتجوا — قتل الرسول ومغنم الأسلاب
وغدوا علينا قادرين بأيدهـم — ردوا بغيظهمو على الأعقـاب
بهبـوب معصفة تفرق جمعهم — وجـنود ربك سـيد الأرباب
وكفى الاله المؤمنين قتالهـم — وأثابهم فى الأجر خير ثـواب

---

(١) من عمليات التعطيل ، ويقصد بها شغل العدو عن متابعة « المطاردة » حتى تسلم القوات الرئيسية .

غزوة بني قريظة

انصرف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الخندق راجعا الى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح ثم واتته فكرة المسير الى بنى قريظة (١) ، ثم سار اليهم فى المسلمين وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرسا ، وذلك يوم الأربعاء لسبع بقين من ذى القعدة .

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا يصلين أحد العصر الا فى بنى قريظة .

وحاصرهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب.

وقد كان حيى بن أخطب دخل مع بنى قريظة فى حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان

---

(١) فى العرف العسكرى الحديث أن أية عملية دفاعية لا تحقق الهدف الا اذا تبعها الهجوم على العدو ، فقد كبد الدفاع العدو خسارة فى الانفس والاسلحة والمعنويات ولكن النصر رهن بعملية هجوميه تفصل فى المعركة وقد رأينا فى وقعة الخندق ان محاولة الكفار باءت بالفشل وانهم تعرضوا للمكث فى العراء اياما يبذلون الجهد الجهيد نهارا وليلا وتقسو عليهم العواصف فاضطروا الى الانصراف ولكن لم تنزل بهم الهزيمة فكان لا بد لدحرهم من عمليات هجوميه يبادر اليها المسلمون . ولهذا قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد الخندق :
« لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم » .

عاهده عليه . فلما أيقنوا بأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد لهم يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وانى عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم .

قالوا : وما هى ؟ .

قال : نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه لنبى مرسل وأنه للذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم .

قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به عبره .

قال : فاذا أبيتم هذه فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد . فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه وان نظهر فلعمرى لنجدن النساء والأبناء .

قالوا : نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم .

قال : فان أبيتم على هذه فان الليلة ليلة السبت وأنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة .

قالوا : نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا الا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ .

قال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما .

ثم انهم بعثوا الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن ابعث الينا أبا لبابة بن عبد المنذر نستشيره في أمرنا فأرسله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلما رأوه قام اليه الرجال وجهش اليه النساء والصبيان يبكون ف وجهه فرق لهم .

وقالوا : يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد .

قال : نعم . وأشار بيده الى حلقه انه الذبح .

فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (١) .

وأنزل الله عز وجل ف أمر الخندق وبنى قريظة من القرآن القصة ف سورة الأحزاب (٢) .

---

(١) ان قوما مصابين فى اخلاقهم منهارة معنوياتهم لا يمكن أن يدخلوا فى عداد المجاهدين فاذا حاق بهم مكروه لم يستطيعوا عليه صبرا ، ولهذا فقد ضعفوا أمام الحصار ، ونزل فى قلوبهم الرعب قبل أن ينشب القتال ، ولا نتيجة لذلك غير التسليم .

(٢) لقد أوضحت هذه السورة الكريمة موقف فريقين فى حومة القتال ، وكشفت عن تفاصيل عسكرية ونظامية ومعنوية فى كل من المعسكرين . وبدأت العمليات باتخاذ المسلمين خطة الدفاع حفروا خندقا يحول دون وصول المشركين اليهم . لم يأخذ المسلمون بخطة الهجوم لأن العدو اكثر عددآ وسلاحا ولأن المسلمين لم يكونوا على تمام الاستعداد فالحركة في بدئهـا وما زال بين الصفوف مرجفون ومترددون . وأقبلت الاحزاب نحو الخندق ـ

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اد جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا .. اد جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا . واذ يقول المنافقون والدين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا . واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا ولو دخلت عليهم من أفطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا . ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسئولا . قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم

قريش وغطفان وبنو قريظه ـ وبدأوا يعجمون قوى المسلمين ويدورون حول الخندق يلتمسون سبيلا ، ويقومون بطلعات من الفرسان للتظاهر والتخويف وقد كان لهذا اثره فى بعض =

= المسلمين الذين لم يتعد اسلامهم السطح من نفوسهم ، فمنهم من كان يتأرجح بين الاسلام والكفر ، ومنهم من كان يرقب الذى يفوز فينضوى تحت لوائه ومنهم الذين لم يطهر الاسلام قلوبهم فهم فى جزع وقلق ينشدون لذائذ الحياة فتسربوا من مكان المعركة او حرضوا غيرهم على الخروج .

من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا . قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سـوءا أو أراد بكم رحمـة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا . قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا . أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فادا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنـوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا يحسبون الأحزاب لم يذهبوا واذ يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا . لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثـيرا . ولما رأى المؤمنون الأحـزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسـوله وصـدق الله ورسـوله وما زادهم الا ايمـانا وتسـليما . من المؤمنين رجال صـدقوا ما عاهـدوا الله عليـه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا . ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتـوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما . ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا . وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقـا

تقتلون وتأسرون فريقا . وأورثكم أرضهم وديارهم وأمــوالهم وأرضا لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديرا) (١) .

(١) الآيات : ٩ـ٢٧ م الأحزاب ٣٣ .

قال تعالى قل لن ينفعكم الفرار . وهــذا درس يصح لكل زمان ولكل قوم . فهل الفرار من الجهاد عاصم من أمر الله، وهل الموت يهبط فى الحرب فقط . وماذا ينفع الفرار غير قتل الروح واهدار الكرامه وتمتع بالحياة الى حين ؟

أما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ القائد فكان نموذجا لجنوده ومثالا للمجاهدين ، اشترك بيده فى حفر الخندق وعاش عيشة رجاله وتعرض للمكروه معهم ، وكان لا ينفرد برأيه بل كان الامر شورى بينهم . وكان المؤمنون حقا يجاهدون ويصــبرون ويصدقون فى اللقاء فمنهم من استشهد ومنهم من شهد رفــع الغمة وقدوم النصر . وقد انفضت الحــرب بغير معركة حاسمة لما حدث فى صفوف المشركين من فرقة وما ألم بهم من ريح صرصر زلزلت اقدامهم وما وقع فى قلوبهم من رعب . وكان للمؤمنين النصر والغلبة وكانت لهم ديار الكفار وأموالهم باذن الله لقــــاء ايمانهم وجهادهم فى الله حق الجهاد .

سَرِيَّة مُحَمَّد بن مَسْلَمَة إلى القُرَطَاء (١)

بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) محمد بن مسلمة الى القرطاء من هوازن خرج لعشر ليال خلون من المحرم على رأس تسعة وخمسين شهرا من مهاجره . بعثه من ثلاثين راكبا الى القرطـاء وهم بطن من بنى بـكر بن كلاب وكانوا ينـزلون البكرات بناحية ضرية ، وبين المدينة وضرية سبع ليال . وأمـره أن يشن عليهم الغارة ، فسار الليل وكمن النهار ، وأغار عليهم فقتل نفرا منهم وهرب سائرهم . واستاق نعما وشاء ولم يعرض للظعـن .

وانحدروا الى المدينة فخمس رسـول الله (صلى الله عليـه وسلم) ما جاء به ، ورد على أصحابه ما بقى فعدلوا الجزور بعشر من الغنم ، وكانت النعم مائة وخمسين بعيرا والغنم ثلاثة آلاف شـاة .

وغاب تسع عشرة ليلة وقدم لليلة بقيت من المحرم

(١) هذه السرية فى تعدادها وتشكيلها وهدفهـا تماثل الدورية فى العمليات الحديثة ، وعلى التحـديد يمكن تشبيهها بدورية الفـدائيين التى تتسرب الى أماكن العـدو الحيوية أو مستودعاتهم فتصيبها بالتلف أو تستولى على مواردها وتموينها .

ويبدو من كثرة الاسلاب أن ناحية البكرات كانت منطقـة رعى خصيبة وان الغارة حققت هدفها من ناحيتين : مفاجاة العدو وازعاجه ، والاستيلاء على تموينه .

كذلك أتبعت السرية فى تقدمها من المدينة الى ضرية خطة الدوريات ونفذت أساليب الفدائيين فى العمليات الليلية والتسلل فى أراضى العدو وايقاع المفاجاة فى صـوفه .

سرية عبد الله بن عتيك

لقتل أبى رافع سلام بن أبى الحقيق (١)

واستأذن نفر من الخزرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى قتله ذبا عن الله وعن رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، وتشبها بالأوس فيما فعلوه من قتل ابن الأشرف فأذن لهم ، وكذلك كانوا رضى الله عنهم يتسابقون فيما يزلف الى الله والى رسوله .

وكان ابن أبى الحقيق بخيبر فخرج اليه من الخزرج من بنى سلمة خمسة نفر : عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة بن ربعى وخزاعى بن أسود حليف لهم من أسلم .

---

(١) وخبر هذه السرية لا يحمل معنى العمليات الحربية ولا يناسب تسميتها سرية ، وانما هى من العمليات الفدائية التى ينتدب لها متسللون يحسنون الاخفاء والتمويه حتى يصلوا الى الفرصة بأخف هندام واقل سلاح .

وليست عمليه قتل رجل بذات شأن تستحق التسجيل والتاريخ الا اذا كان الهدف رجلا معروفا أو قائدا كبيرا يؤدى قتله الى غنم واضح .

ومما يلفت النظر فى الامر الذى أعطاه القائد لهؤلاء الفدائيين الا يقتلوا وليدا او امرأة ، وهذا من تقاليد الحضارية التى أخذ بها المحاربون الشرفاء عادة قرون الى أن جاءت الحروب الحالية حاملة الموت للجميع بلا تفرقة بين عسكرى ومدنى أو رجل وامرأة أو شيخ وطفل .

وأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عليهم ابن عتيك ونهاهم أن يقتلوا وليــدا أو امرأة فخــرجوا حتى اذا قدمــوا « خيبر » أتوا دار ابن أبى الحقيق ليلا ، فلم يدخلــوا بيتا فى الدار الا أغلقوه على أهله حتى قاموا على بابه فاستأذنوا فخرجت اليهم امرأته فقالت من أنتم فقالوا ناس من العرب نلتمس الميرة.

قالت ذا صاحبكم فادخلوا عليه ، قالوا : فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليه الحجرة تخوفا أن يكون دونه محولة تحول بيننا وبينه . وصاحت المرأة فنوهت بنا . قالوا : وابتدرناه وهو على فراشــه بأسيافنا والله ما يدلنا عليه فى سواد الليل الا بياضه كأنه قبطية ملقاة .

ولما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيكف يده ولولا ذلك لفرغنا منها بليل .

فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه فى بطنه حتى أنفذه وهو يقول : قطنى قطنى .. حسبى حسبى .

غزوة بني لحيان

في غرة هلال شهر ربيع الأول سنة ست خرج النبي (صلى الله عليه وسلم) الى بنى لحيان ، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة (١) ، حتى أتى منازل بنى لحيان فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رءوس الجبال .

فلما نزلها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأخطأه من غرتهم ما أراد قال لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة انا قد جئنا مكة . فخرج في مائتى راكب من أصحابه حتى نزل عسفان ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم كرا وراح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قافلا .

فكان جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول حين وجه : آيبون تائبون ان شاء الله لربنا حامدون .

---

(١) تعتبر هذه الغزوة غير محققة لاهدافها ، فقد كان القصد منها مفاجأة العدو والاغارة عليه ، فكانت خطة القائد أن يلفت الانظار عن غرضه الرئيسي مدعيا أنه يقصد الشام وبذلك يفاجىء العدو في عقر داره ، ولكن العدو كان حريصا أو على علم مما يبيت له فاتخذ للامر أهبته وترك منازله وتمنع في رءوس الجبال ، وبذلك ضاعت المفاجأة وانفلتت الخطة .

ويلاحظ أن القائد لم يتورط في عملية جديدة لم يستعد لها ، وبذلك قفل راجعا ولم تخول له أطماعه أن يزيد .

ولا بأس اذا لم تنجح مثل هذه الغزوة ولم تكن حروب الاسلام كلها انتصارا ، فكانت هزائم وانتصارات فطال أمد الجهاد وصعب طريقه وكثر شهداؤه ، ومن الالم والامل ، والهزيمة والنصر يصنع الجنود وتقوى الجيوش وتحيا الاوطان .

غَزوةُ ذِى قَرد

ويقال لها غزوة الغابة

قدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المدينة فلم يقم بها الا ليالى قلائل حتى أغار عيينة بن حصن فى خيل من غطفان على لقاح (١) رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالغابة وفيها رجل من بنى غفار وامرأة له فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة فى اللقاح . وكان أول من نذر بهم سلمة بن الأكوع غدا يريد الغابة متوشحا قوسه ونبله ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده حتى اذا علا ثنية الوداع (٢) نظر الى بعض خيولهم فأشرف الى ناحية سلع (٣) ثم صرخ واصباحاه ثم خرج يشتد فى آثار القوم وكان مثل السبع حتى لحق القوم فجعل يردهم بالنبل ويقول اذا رمى : خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع (٤) فاذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا ثم عارضهم فاذا أمكنه الرمى رمى .

---

(١) ابل .

(٢) مرتفع قريب يشرف على المنطقة .

(٣) من مواقع المشركين .

(٤) أى يوم القضاء على اللئام .

ثم اجتمع بعض الفرسان فأمر عليهم رسول الله (صلى الله عليـه وسلم) سعد بن زيد ثم قال اخرج فى طلب القـوم حتى ألحقك بالناس .

وسار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى نزل بالجبل من ذى قرد وتلاحق به الناس وأقام عليه يوما وليلة ، ثم رجع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى المدينة وكان قـد غاب خمس ليال .

سَرِيّة سَعيدبْن زَيدإلى العرنيين (١)

رعى فى شوال سنة ست : وكان قد قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من عرينة ، وعرينة حى من بجيلة (٢) وكانوا مجهودين مضرورين قد كادوا يهلكون فأنزلهم عنده وسألوه أن ينحيهم من المدينة فأخرجهم رسول الله (صلى الله علبه وسلم) الى لقاح له نفبفاءالخبار (٣) من وراء الحمى فيها مولى لرسول الله (صلى الله عليه سلم) يدعى يسارا فقتلوه ثم مثلوا به واستاقوا لقاح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فبعث رسول الله فى أثرهم فأدركوا فوق المنفى فأمر بهم رسول الله صلى الله علىه وسلم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمل (٤) أعينهم وأمير الخيل يومئذ سعد بن زيد

---

(١) أهل عرينه ، حى من بجيله .

(٢) من قبائل المدينه .

(٣) كرهوا المقام فى المدينه فأمر باقامتهم فى مكان آخر في حمايته .

(٤) لقد أريد بتقطيع الأيدى والأرجل وغرس السوك فى الاعين .. الخ ، أريد بذلك القصاص بنفس العمل الذى قام به قطاع الطرق .

وقــد نهى رسول الله صلى الله عليــه وسلم بعد ذلك عن المثل (١) بالآية التى فى سورة المائدة :

(انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم (٢) .

---

(١) التمثيل بالقتلى بتشويه وجوههم أو قطــع ألسنتهم .. الخ ..

(٢) الآية ٣٣ م المائدة ٥ المعنى : نزلت هذه الآية فى قطاع الطريق الذين يتهددون الآمنين فيقتلون وينهبون الاموال ويثيرون الرعب فيكون اقامة الحد على قاطع الطريق بقتله اذا قتل وقطع ايديه وارجله اذا نهب مالا . وقتله وصلبه اذا فعــل الفعلتين : القتل والنهب. وسجنه أو اخراجه من البلد اذا قام بغارته على الآمنين دون أن يصل الى قتل أو نهب .

غزوة بني المصطلق (وهي غزوة المريسيع)

في شعبان سنة ست (١) بلغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ان بني المصطلق (٢) يجمعون له ، وقائدهم الحرث بن أبي ضرار فخرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل . فتزاحف (٣) الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل من قتل منهم . ونفل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءهم عليه .

وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عندما انتهى الى الماء فضرب عليه قبته فتهيأوا للقتال وصف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ودفع راية المهاجرين الى أبي بكر وراية الأنصار الى سعد بن عبادة فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر رسول الله (صلى

---

(١) اختلف المؤرخون أصحاب المغازي في ترتيبها فهي في سنة ست عند ابن اسحق ، وفي سنة أربع عند موسى بن عقبة وسنة خمس عند ابن سعد فتكون قبل الخندق .

(٢) المصطلق هو جزيمة بن كعب بن خزاعة ، على مقربة من مكة .

(٣) زحف كل فريق على الآخر .

الله عليه وسلم) أصحابه فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم انسان وقتل عشرة منهم وأسر سائرهم وسبى رسول الله (صلى الله عليهوسلم) الرجال والنساء والذرية . وأمر بالأساري فكتفوا وأمر بالغنائم فجمعت وجمع الذرية .

وكان الابل ألفي بعير والشاء خمسة آلاف شاة وكان السبى مائتي بيت .

سرية عكاشة بن محصن إلى الغمر

فى ربيع الأول سنة ست وجه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عكاشة بن محصن الى الغمر فى أربعين رجلا فخرج سريعا يغذ السير ونذر به القوم فهربوا عليا بلادهم ووجد ديارهم خلوفا (١) فبعث شجاع بن وهب طليعة فرأى أثر النعم فتحملوا فأصابوا ربئة (٢) لهم فأمنوه فدلهم على نعم لبنى عم له فأغاروا عليها فاستاقوا مائتى بعير فأرسلوا الرجل وحدروا النعم الى المدينة .

سرية محمد بن مسلمة إلى ذى القصة (٣)

فى ربيع الآخر سنة ست . بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) محمد بن مسلمة الى بنى ثعلبة وبنى عوال وهم بذى القصة ــ وبينها وبين المدينة أربعةوعشرون ميلا طريق الربذة ــ فى عشرة نفر فوردوا عليهم ليلا فأحدق بهم القوم وهم مائة رجل

---

(١) خاليه من أهلها .
(٢) طليعـــه .
(٣) بفتح القاف والصاد ، موضع قرب المدينة .

فتراموا ساعة من الليل ثم حملت الأعراب عليهم بالرماح فقتلوهم ووقع محمد بن مسلمة جريحا فضرب كعبه فلا يتحرك وجردوه من الثياب ومر بمحمد بن مسلمة رجل من المسلمين فحمله حتى ورد به الى المدينة .

فبعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أبا عبيـــدة بن الجراح فى أربعين رجلا الى مصارعهم فلم يجدوا أحدا ووجدوا نعما وشاء فساقه ورجع .

سَرِيَّةُ أبي عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاح

إلى ذي القصّة

ثم سرية أبي عبيدة بن الجراح الى ذى القصة فى شهر ربيع الآخر سنة ست .

قالوا أجدبت بلاد بنى ثعلبة وأنمار ووقعت سحابة بالمراض الى تغلمين والمراض على سته وثلاثين مبلا من المدينة فسارت بنو محارب وثعلبة وأنمار الى تلك السحابة وأجمعوا أن يغيروا على سرح المدينة وهى ترعى بهيفاء ، موضع على سبعة أميـال من المدينة فبعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أبا عبيدة بن الجراح فى أربعين رجلا من المسلمين فمشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصة مع عماية الصبح فأغاروا عليهم فأعجزوهم هربا فى الجبال فأصاب رجلا واحدا فأسلم وتركه فأخذ نعما من نعمهم وقـدم بذلك المدينة .

غزوة رسول الله ﷺ الحديبية

خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى ذى القعدة سنة ست معتمرا لا يريد حربا . واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادى من الأعراب وهو يخشى من قريش الذى صنعوا أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت . وخرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب وساق الهدى معه وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه وليعلم الناس أنه انما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له . وكان الناس سبعمائة رجل وقيل ألفا وأربعمائة وقيل خمس عشرة مائة .

ولقيه بعسفان بشر بن سفيان الكعبى فقال يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل (١) قد لبسوا جلود النمور ، وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله ألا تدخلها عليهم عنوة أبدا ، وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم وقد قدموها الى كراع الغميم .

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ياويح قريش أكلتهم الحرب . ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب ، فان هم

(١) العوذ حديثات النتاج ، المطافيل التي معها أولادها . أى انهم لم يتركوا شيئا له قيمه ، وأنهم خرجوا بالابل ذوات الألبان ليكون ألبانها زادا لهم ، فهم قد عقدوا العزم على الحرب .

أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وان أظهرني الله عليهم دخلوا في الاسلام وافرين ، وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة . فما تظن قريش . فو الله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة (١) .

ثم قال من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها فقال رجل من أسلم أنا يا رسول الله . فسلك بهم طريقا وعرا أجرل (٢) بين شعاب وأفضوا الى أرض سهلة عند منقطع الوادي. وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمض في طريق يخرجه على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة . فسلك الجيش ذلك فلما رأت قريش قترة (٣) الجيش قد خالفوا طريقهم ركضوا راجعين الى قريش.

فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة فكلموه وسألوه ما الذي جاء به فأخبرهم أنه لم يأت يريد حربا وانما جاء زائرا البيت ومعظما لحرمته فرجعوا الى قريش فقالوا يا معشر قريش انكم تعجلون على محمد ان محمدا لم يأت لقتال انما جاء زائرا لهذا البيت . فاتهموهم وجبهوهم (٤) وقالوا ان كان جاء ولا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا ولا تحدث بذلك عنا العرب .

---

(١) ناحيه مقدم العنق ، والمقصود أن يلقى حتفه .
(٢) طريقا صعبا شاقا ، والأجرل : الكثير الحجارة .
(٣) القترة : الغبار .
(٤) خاطبوهم بما يكرهون .

ثم بعثوا اليه مكرز بن حفص فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال هذا الرجل غادر . فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا مما قال لبديل وأصحابه فرجع الى قريش وأخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة — أو ابن زبان — وكان يومئذ سيد الأحابيش فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتألهون (١) فابعثوا الهوى فى وجهه حتى يراه ، فلما رأى الهدى يسير اليه من عرض الوادى بقلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما رأى فقال لهم ذلك فقالوا له اجلس فانما أنت اعرابى لا علم لك .

ثم بعثوا لرسول الله عروة بن مسعود الثقفى فقال يا معشر قريش انى قد رأيت منكم من بعثتموه الى محمد اذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ . وقد سمعت بالذى نابكم فجمعت من أطاعنى من قومى ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسى ، قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم .

فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له نحوا مما كلمه به أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حربا فقام من عند رسول الله فقال يا معشر قريش : انى جئت كسرى فى ملكه

---

(١) أى : يعظمون الله ويتعبدون له .

وقيصر فى ملكه والنجاشى فى ملكه وانى والله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعى الى قريش بمكة ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعهم الأحابيش(١) فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبعثت قريش أربعين رجلا منهم أوخمسين رجلا وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه أحدا . فأخذوا أخذا فأتى بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنهم وخلى سبيلهم .

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فبعثه الى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وأنه لم يأت الا زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته . فخرج عثمان بن عفان الى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاصى فجعله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به فقال لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم ان شئت أن تطوف بالبيت فطف . قال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله

---

(١) قوم من قريش وكنانه وخزيمه وخزاعة احتمعوا فى الحبشى وهو جبل بأسفل مكة وتحالفوا بالله انهم يد واحدة .

عليه وسلم فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان قد قتل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن عثمان قتل (لانبرح حتى نناجز القوم) .

ودعا رسول الله الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة .

فكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت .

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ائت محمدا وصالحه ولا يكن فى صلحه الا أن يرجع عنا عامه هذا . فو الله لا تحدث العرب انه دخلها علينا عنوةأبدا . فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل فلما انتهى سهيل الى الرسول صلى الله عليه وسلم تكلم فأطالالكلام وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح (١) .

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلا حتى اذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح (٢) .

---

(١) اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض ، وأنه من احب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أراد أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه .

(٢) نزلت بعد منصرفه — صلى الله عليه وسلم — من الحديبية عند كراع الغميم وقيل عند ضجنان فقرأها صلى الله عليه وسلم — وقال : لقد انزلت سورة أحب الى =

(انا فتحنالك فتحا مبينا ، ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما .. وينصرك الله نصرا عزيزا هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما) .

وفيها ذكر البيعة :

(ان الذين يبايعونك انما يبـايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسؤتيه أجرا عظيما) .

(ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا عـلى

= من الدنيا ومن فيها . وعد الله ورسوله بفتح مكة عمرانا ونعمة وهداية ونصرا . وقد حلت بالمسلمين الطمأنينه فى أحرج المواقف حتى يشتد ايمانهم والله هو القوى واهب النصر .

ان الذين يعاهدونك على الجهاد ــ بيعه الرضوان بالحديبية ــ انما يعاهدون الله نفسـه فقوة الله فوق قوتهم فاذا نقض أحدهم العهد جلب على نفسه الشقاء ومن وفى بالعهد فسيكون له الاجر العظيم على جهاده وثباته .

أصحاب العاهات لهم العـذر فى التخلف عن الجهـاد والله لا يكلف نفسا الا وسعها . ولهذا يعزز الجنـود ويستبعد منهم ذوو العـاهات .

كان المؤمنون عددا محدودا التفوا حول محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم كثروا واشتد عودهم وعظم أمرهم كما يبـدأ الزرع صغيرا ثم تقوى طاقته ويتولد منه أفرع وثمرات .

المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما) .

(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) .

غزوة خيبر

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم وخرج منه غازيا الى خيبر ولم يبق من السنة السادسة من الهجرة الا شهر وأيام. وقد سلك على عصر (١) فبنى فيها مسجدا ثم على الصهباء ثم أقبل الى خيبر حتى نزل بواد يقال له الرجيع . فنزل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما سمعت غطفان بمنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر جمعوا ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه حتى اذا ساروا منقلة (٢) سمعوا خلفهم فى أموالهم وأهليهم حسا ظنوا أن القوم قد خالفوا اليها(٣) فرجعوا على أعقابهم وخلوا بين رسول الله وبين خيبر وتدنى (٤) رسول الله صلى الله علبه وسلم الأموال يأخذها مالا مالا ويفتحها حصنا حصنا فكان أول حصونهم

(١) عصر (بكسر العين) · جبل بين المديه ووادى الفرع ·
(٢) مرحلة .
(٣) جاءوا من خلف .
(٤) أحذ الادنى فالادنى .

افتتح حصن ناعم ثم القموص حصن بنى أبى الحقيق ثم حصن الصعب بن معاذ وما بخيبر حصن كان أكثر طعاما ورخاء منه .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر برايته الى بعض حصون خيبر فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد . ثم بعث للغد عمر بن الخطاب فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد . فقال عليه السلام لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه . ليس بفرار . فدعا عليا ــ وهو رمد ــ فتفل فى عينيه ثم قال خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك فخرج بها يهرول حتى ركزها فى رضم (١) من حجاره تحت الحصن فما رجع حتى فتح الله عليه .

---

(١) مجموعة من الصخور الكبيرة .

غـزوة مُؤتَة

وهى بأدنى البلقاء من أرض الشام فى جمادى الأولى سنة ثمان

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرث بن عمير الأزدى، أحد بنى لهب، بكتابه الى الشام، الى ملك الروم — وقيل الى ملك بصرى — فعرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فأوثقه رباطا ثم قدمه فضرب عنقه صبرا. ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره فاشتد ذلك عليه حين بلغه الخبر عنه.

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى مؤتة وأمر عليهم زيد بن حارثه، وقال ان أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس وان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج وهم ثلاثة آلاف. فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليهم.

ثم مضوا حتى نزلوا معان — من أرض الشام — فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب — من أرض البلقاء — فى مائة ألف من الروم وانضم اليهم من لخم وجذام والقين وبهراء وبلى مائة ألف.

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على «معان» ليلتين ينظرون فى أمرهم وقالوا نكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بعدد عدونا فاما أن يمدنا بالرجال واما أن يأمرنا بأمره فنمضى له .

قال عبد اللهبن رواحة :

يا قوم ، والله ان الذى تكرهون للتى خرجتم لها تطلبون الشهـــادة .

وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، وما نقاتلهم الابهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا ، فانما هى احدى الحسنيين اما ظهور واما شهادة .

ثم مضى الناس حتى اذا كانوا بتخوم البلقـــاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرب البلقاء يقال لها مشارف. ثم دنا العدو وانحاز المسلمون الى قرية يقال لها مؤتة . فالتقى النـــاس عندها .

وتعبأ المسلمون فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بنى عذرة يقال له قطبة بن قتادة وعلى ميسرتهم رجل من الأنصار يقال له عباية ابن مالك . ثم التقى الناس فاقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط فى رماح القوم . ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى اذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شـــقراء فعقرها ثم قاتل القوم حتى قتل (١) . وروى أنه أخـــذ

---

(١) روى انه وجد مابين صدر جعفر ومنكبيه وما اقبل منه تسعين جراحة ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح .

اللواء بيمينه فقاتل به حتى قطعت يمينه فأخذ الراية بيساره فقطعت يساره فاحتضن الراية وقاتل حتى قتل ثم أخذها عبد الله ابن رواحة وتقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم نزل وأخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل . ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم فقال : يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، فقالوا أنت قال ما أنا بفاعل .

فاصطلح الناس على : خالد بن الوليد .

فلما أخذ خالد الراية دافع القوم وخاشى (١) بهم ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس (٢) وقد حكى ابن سعد وغيره ان الهزيمة كانت على المسلمين وحكى أيضا أن الهزيمة كانت على الروم وكذا فى صحيح البخارى . والمختار من ذلك ماذكره ابن اسحق من انحياز كل فئة عن الأخرى من غير هزيمة .

---

(١) من الخشية فكأنه خاف عليهم .

(٢) وجد القائد الجديد ان الموقف لايحتمل المضى فى القتال، لقد قام بعمل «تقدير الموقف» نظر فى الفريقين المتقاتلين ووازن بين القوى المختلفة والعناصر التى يملكها كل منهما فلم يجد تكافؤا ولهذا قرر ان ينسحب ، وان يستخدم مواهبه فى فض القتال بلا خسارة أو كارثة فشرع بتنظيم عملية الانسحاب بما دافع به القوم وحاشى أو خاشى بهم ثم انحاز ـ فهو قد اعمل الحيلة حتى نجا بجيش المسلمين من هذا المعترك وكانت عملية انسحاب ناجحة تذكر لهذا القائد الفذ الذى وضع قدمه فى ساحه القادة العظام فى التاريخ كله ..والعملية ـ عملية الانسحاب عند الهزيمة ـ تعتبر من اشق العمليات الحربية التى تفوق النصر ، وهى محك القائد العظيم

سرية عمرو بن العاص

إلى ذات السلاسل

وهى من وراء وادى القرى .

سميت بماء بأرض جذام يقال له السلسل . وبينها وبين المدينة عشرة أيام وكانت فى جمادى الآخرة سنة ثمان .

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعا من قضاعة قد تجمعوا يريدون أن يدنوا الى أطراف المدينة (١) فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص وعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء . وبعثه فى ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ومعهم ثلاثون فرســا وأمر أن يستعين بمن مر به من « بلى » و « عذرة » و « بلقين » (٢) .

---

(١) فى هذه السرية تتحقق نظرية من أصدق نظريات الحرب وهى أن «الهجوم هو خير وسائل الدفاع» فلم ينتظر القائد — وقد علم بأن العدو يستعد للتحرك — وانما دفع قواته نحو العدو حتى تكون المبادأة معه والروح الهجومية فى صفوفه ، وبذلك غير خطة العدو ، وحمله على تلقى الهجوم على غير ما استعد له .

(٢) أن توجيه القائد لأمير جنده أن يضم الى جيشه من يجد فى البلاد التى يمر بها هو توجيه تقتضيه المقام وله هدفان ، الأول نشر الدعوة وادخال الأعراب فيها ، والثانى تقوية الجيش بعناصر من صالحها دفع الخصم الذى كان ينوى الاغارة عليهم .

فسار عمرو بن العاص الليل وكمن النهار (٣) .

فلما قرب من القوم بلغه أن لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن مكيث الجهنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فبعث اليه أبا عبيدة بن الجراح فى مائتين وعقد له لواء . وبعث معه سراة المهاجرين والأنصار وفيهم أبو بكر وعمر .

وأمره أن يلحق بعمرو وأن يكونا معا جميعا ولا يختلفا (١). فلحق بعمرو فأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس فقال عمرو : انما قدمت على وأنا الأمير فأطاع له بذلك أبو عبيده .

فكان عمرو يصلى بالناس حتى وطىء بلاد «بلى» ودوخها .

حتى أتى الى أقصى بلادهم وبلاد «عذرة» و«بلقين» . ولقى فى آخر ذلك جمعا فحمل عليهم المسلمون فهربوا فى البلاد وتفرقوا.

---

(٣) وكان قائد العمليات فطنا ، يتخذ الليل ستارا يحمى تحركاته عن عيون العدو ، ويفادى فى سيره الليلى حرارة الشمس ، ويعد العدة لمفاجأة العدو فى عقر داره قبل ان يكشف التحركات ويستعد لها . اى ان عمرو بن العاص اخذ بنظرية العمليات الليلية وحقق مبدأى الوقاية والمفاجأة .

(١) يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شر ما يحيق بالجيش اختلاف قواده ، فاحتاط للأمر وأمر أن لايختلفا واستمع له أبو عبيدة فسلم لعمرو بالقيادة حتى لايكون ثمة خلاف ، وهذا يؤيد نظرية أن قائدا عاديا احسن من قائدين عظيمين .

فتح مكة
شرفها الله تعالى

وكانت فى شهر رمضان سنة ثمان .

وكان السبب فيها أن بنى بكر بن عبد مناف بن كنانة عدت على خزاعة (١) ، وهم على ماء بأسفل مكة يقال لها : الوتير .

فخرج عمرو بن سالم الخزاعى فى أربعين راكبا حتى قدم على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)المدينة وكان ذلك ما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى الناس فقال:

يا رب انى ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا
قد كنتم ولدا وكنا والدا ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا أعتدا وادع عباد الله يأتوا مددا

---

(١) كان بين بكر وخزاعة خلاف قديم — قبل الاسلام — فلما كان صلح الحديبية كان فيما شرطوا أنه من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله وعهده فليدخل فيه ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فليدخل — فدخلت بنو بكر فى عهد قريش ودخلت خزاعة فى عهد رسول الله ، فلما اعتدت بكر على خزاعة استنجدت برسول الله .

فيهم رسـول الله قد تجـردا   ان سـيم خسفا وجهه تربدا
فى فيلق كالبحر يجـرى مزبدا   ان قريشـا أخلفوك الموعـدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا   وجعلوا لى فى كداء رصـدا
زعموا أن لست أدعو أحـدا   وهم أذل وأقـل عـددا
هم بيتونا بالوتير هجـدا   وقتلونا ركعـا وسـجدا

يقول : قتلنا وقد أسلمنا .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نصرت يا عمرو بن سالم .

ثم عرض لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) عنان من السماء فقال ان هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب

وخرج بديل بن ورقاء فى نفر من بنى خزاعه حتى قدموا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأخبروه بما أصيب منهم وتظاهره قريش بنى بكر عليهم .

ثم رجعوا الى مكه وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للناس : كأنكم بأبى سفيان قد جاءكم ليشد العقد ويزيد فى المدة (١) .

ومضى بديل بن ورقاء فى أصحابه حتى لقوا أبا سفيان بن حرب بعسفان وقد بعثته قريش الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليشد العقد ويزيد فى المدة ، وقد رهبوا الذى صنعوه فلما لقى أبو سفيان بديل بن ورقاء قال : من أين أقبلت يا بديل ؟

(١) أى يمد فترة الهدنة .

ـ وظن أنه قد أتى النبى (صلى الله عليه وسلم) قال : سرت فى خزاعة فى هذا الساحل وبعض هذا الوادى . قال : أو ماجئت محمدا . قال لا فلما راح بديل الى مكة قال أبو سفيان : لئن كان جاء المدينة لقد علف بها النوى ، فأتى مبرك راحلته فأخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال : أحلف بالله لقد جاء بديل محمدا .

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم المدينة ، وأتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فكلمه فلم يرد عليه شيئا ثم ذهب الى أبى بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال ما أنا بفاعل . ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال أنا أشفع لكم الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فوالله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به ، فدخل على على بن أبى طالب فقال ياعلى : انك أمس القوم بى رحما وانى قد جئت فى حاجة فلا أرجع كما جئت خائبا . واشفع لى الى رسول الله .

فقال : ويحك يا أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه .

قال : يا أبا الحسن انى أرى الأمور قد اشتدت على فانصحنى

قال : والله ما أعلم لك شيئا يغنى عنك ولكنك سيد بنى كنانة فقم وأجر بين الناس ثم الحق بأرضك .

فقام أبو سفيان فى المسجد فقال : أيها الناس انى قد أجرت بين الناس .

ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك ؟ قال : جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد على شيئا ، ثم جئت ابن أبى قحافة (١) فلم أجد فيه خيرا ثم جئت عمر بن الخطاب فوجدته أعدى عدو . ثم جئت عليا فوجدته ألين القوم وقد أشار على بشيء صنعته فوالله ما أدرى هل يغنى عنى شيئا أم لا .

قالوا : وبم أمرك ؟

قال : أمرنى أن أجير بين الناس ففعلت .

قالوا : فهل أجاز ذلك محمد قال لا .

قالوا : ويلك . والله ان زاد الرجل على أن لعب بك ؟

أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه (٢) وأعلم الناس أنه سائر الى مكه وأمرهم بالجد والتجهز وقال

اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها (٣) .

وخرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعشر مضين من شهر رمضان فى عشرة آلاف . وعميت الأخبار عن قريش فهم على وجل وارتقاب .

فلما نزل رسول الله نزله عشاء فأمر أصحابه فأوقدوا عشر آلاف نار وجعل على الحرس عمر بن الخطاب ، رقب نفس

---

(١) أبو بكر .

(٢) يعدوه للقتال

(٣) من مبادىء الحرب « المفاجأة » ، وهو هنا يريد أن يوقع بالعدو على حين غرة ، وفى عقر داره .

العباس (١) لأهل مكة قال : فجلست على بغلة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الأراك فقلت لعلى أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذى حاجة يأتى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة (٢) . فوالله انى لأسير عليها اذ سمعت كلام أبى سفيان وبديل بن ورقاء (٣) وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا ، قال يقول بديل هذه والله خزاعة حمشتها (٤) الحرب ، فيقول أبو سفيان . خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها

فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظله . فعرف صوتى فقال : أبو الفضل . قلت نعم . قال مالك فداك أبى وأمى . قال قلت : والله هذا رسول الله فى الناس . واصباح قريش والله اذا دخل مكة عنوة ! . قال : فما الحيلة فداك أبى وأمى . قال قلت : والله لئن ظفر بك لنضربن عنقك فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأستأمنه لك . فركب خلفى

---

(١) العباس بن عبد المطلب .

(٢) أى بالقوة .

(٣) كانا قد خرجا من مكه ومعهما حكيم بن حزام يستكشفان اخبار المسلمين .

(٤) أى اعضتها واهاجتها .

ورجع صاحباي قال فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا واذا رأوا بغلة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأنا عليها قالوا عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على بغلته حتى مررت بعمر بن الخطاب . قال من هذا وقام الى فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله . الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد . ثم خرج يشتد نحو رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وركضت البغلة فسبقت فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ودخل عليه عمر قال يا رسول الله هذا أبو سفيان فدعنى فلأضرب عنقه . قال فقلت : يا رسول الله انى قد أجرته . ثم جلست الى رسول الله فأخذت برأسه فقلت والله لا يناجيه الليلة رجل دونى . وأسلم أبو سفيان . وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

« من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق بابه عليه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن » .

ثم أمر العباس أن يحبس أبا سفيان بمضيق الوادى عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها ، ففعل فمرت القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال : يا عباس من هذه ، فأقول : سليم قال يقول مالى ولسليم . ثم تمر القبيلة فيقول : ياعباس ما هؤلاء . فأقول : مزينة فيقول مالى ولمزينة حتى نفدت القبائل ما تمر به قبيلة الا سألنى عنها فاذا أخبرته بهم قال مالى ولبنى فلان حتى مر به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى

كتيبته الخضراء وفيها المهاجرون والأنصــار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد . قال سبحان الله يا عباس من هؤلاء ؟ قال قلت : هذا رسول الله (صلى الله عليه وســلم) في المهاجرين والأنصار . قال ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة .

فقال أبو سفيان : والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما .

قال قلت يا أبا سفيان انها النبوة . قال فنعم اذن .

قال قلت النجاء الى قومك . حتى اذا جاءهم صرخ بأعــلى صوته . يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن . ومن أغلق عليه بابه فهو آمن . ومن دخل ذلك المسجد فهو آمن . فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد

ولهذا قال جماعة من أهل العلم منهم الامام الشافعي رحمه الله : ان مكة مؤمنة وليست عنوة . والأمان كالصلح . ورأى أن أهلها كانوا مالكي رباعهم فلذلك كان يجيز كراءها لأربابها وبيعها وشراءها لأن من أمن فقد حرم ماله ودمه ودرينه وعياله . فمكة مؤمنة عند من قال بهذا القول .

وأكثر أهل العلم يرون أن فتح مكة عنوة لأنها انما أخذت بالخيل والركاب .

دخل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مكة يوم الفتح وعلى الكعبة ثلاثمائة وستون صنما قد شد لهم ابليس أقدامها برصاص

فجاء ومعه قضيب فجعل يهوى به الى كل صنم منها فيخر لوجهه فيقول :

جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا .

ولا خلاف أنه لم يجر فيها قسم ولا غنيمة ، ولا سبى من أهلها أحد لما عظم الله من حرمتها ألا ترى الى قوله (صلى الله عليه وسلم) مكة حرام محرمة لم تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدي وانما حلت لى ساعة من نهار ثم هى حرام الى يوم القيامه .

وأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خالد بن الوليد فدخل من الليط (١) أسفل مكة فى بعض الناس فكان خالد على المجنبة اليمنى . وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكه بين يدى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ودخل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من « أداخر » حتى نزل بأعلى مكه وضربت له هناك قبة .

وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن جهل وسهيل بن عمر ــ وقيس بن خالد ــ قد جمعوا أناسا بالخندمة (٢) ليقاتلوا فلما لاقاهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئا من القتال ، وأصيب من المشركين قريب من اثنى عشر رجلا أو ثلاثة عشر رجلا ثم انهزموا . وفى هذا قال حماس بن قيس لامرأته .

---

(١) موضع بأسفل مكه .
(٢) الخندمه جبل بمكه

انك لو شهدت يوم الخندمة   اذ فر صـــفوان وفــر عكرمه
واستقبلتنا بالسيوف المسلمه   يقطعن كل ســـاعد وجمجمه
ضربا فلاتســـمع الا غمغمـــه   لهم نهيب حولنــــا وهمهمه
لم تنطقي في اللوم أدنى كلمه !

ولما نزل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يســـتلم الركن بمحجن (١) في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحه فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد بها حمامة من عيدان . فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبه فقال :

لااله الا الله وحده . لاشريك له . صدق الله وعده ونصر عبده . وهزم الأحزاب وحده ثم تلا هذه الآية :

(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبـــائل لتعـــارفوا ان أكرمكم عند الله أتقـــاكم ان الله علـــيم خبير) (١) .

---

(١) أداة كالعصا المعوجه .

(٢) الآيه   ١٣ م الحجرات ٤٩ .

المعنى   ياأيها الناس لقد خلقكم الله متعـــددين في النسب كلكم من آدم وحـــواء وبطنكم في شعوب وقبائل لا لتخـــتلفوا وتحاربوا ولكن لتعارفوا وتتحـــابوا فليس بعضكم افضل من بعض الا بالعمل الصالح فأقربكم الى الله أكثركم تقوى لله وخشية له فان فأخرتم ففاخروا بالتقوى .

وفي الحديث . يا أيها الناس الا آن ربكم واحد . لافضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود الا بالتقوى .

غزوة حنين
وهي غزوة هوازن

ولما سمعت هوازن برسول الله (صلى الله عليه وسلم) وما فتح الله عليــه من مكة ، جمع مالك بن عوف النصرى فاجتمع اليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بنى هلال وهم قليل . وجماع أمر الناس الى مالك بن عوف .

فلما أجمع السير الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم فلما نزل بأوطاس اجتمع اليه الناس وقال مالك : اذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم شدوا شده رجل واحد . وبعث عيونا من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالهم قال ويلكم ما شأنكم قالوا : رأينا رجالا بيضا على خيل بلق . والله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى .

ولما سمع بهم نبى الله (صلى الله عليه وسلم) بعث اليهم عبد الله بن حدرد الأسلمى وأمره أن يدخل فى الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم . فانطلق ابن أبى حدرد فدخل فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسمع من مالك ، وأمر هوازن ما هم عليه ثم أقبل حتى أتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأخبره الخبر .

فلما أجمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) السير الى هوازن ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدرعا وسلاحا فأرسل اليه وهو يومئذ مشرك فقال يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلق به عدونا غدا . فقال صفوان : أغصبا يا محمد ؟ قال . بل عارية ، وهي مضمونة حتى نؤديها اليك قال : ليس بهذا بأس . فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح . فزعموا أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سأله أن يكفيهم حملها ، ففعل ثم خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة فكانوا اثنى عشر ألفا .

وروى عن جابر بن عبد الله قال . لما استقبلنا وادى حنين انحدرنا فى واد من أودية تهامة أجوف حطوط (١) انما ننحدر فيه انحدارا وفى عماية (٢) الصبح ،وكان القوم قد سبقونا الى الوادى فكمنوا لنا فى شعابه وأحنائه (٣) ومضايقه، وقد أجمعوا وتهيأوا وأعدوا فوالله ما راعنا ونحن منحطون الا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد (٤) وانشمر الناس راجعين لايلوى أحد على أحد وانحدر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذات اليمين ثم قال يا أيها الناس هلم الى ، فانطلق الناس الا أنه قد بقى مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نفر من المهاجرين وأهل

(١) أجوف حطوط منسع منحدر .
(٢) عماية الصبح ظلامه قبل أن يصدع النور .
(٣) الأحناء الجوانب .
(٤) وصف حملدفعة الهجوم

بينه فلما انهزم الناس بعين المسلمين ، تراصوا ثم كروا كـرة رجل واحد . فأشرف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في ركائبه فنظر الى مجلد القوم يجلدون فقال : الآن حمي الوطيس (١) .

ولما انهزمت هوازن استمر القتل في ثقيف من بني مالك فقتل منهم سبعون رجلا . ولما انهـزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف . وعسكر بعضهم بأوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة .

---

(١) حدث فرار المسلمين ثم أعقبه رجوعهم بسرعة وقتالهم حتى كان الفتح نزلت « ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا » .

كان المسلمون يوم حنين اثنى عشر الفـا مزودين بأحسن الدروع والسلاح وهو جيش كبير أكثر عددا وعدة من عدوه . فدخل في نفوس القوم أن المهمة يسيرة وأن هزيمة هوازن مؤكدة وخاصة بعد فتح مكة وثبوت راية المسلمين ـ فلم يحملوا ـ في تقدمهم ـ بمبادىء الحرب وكان جديرا بهم ان يعنوا العيون تكشف الطريق وتؤمن سلامة الجمع الكبير ، ولكن ساروا في اطمئنان واذا بهم يفاجأون بالعدو الكامن في الشعاب الآخذ بأسباب الدفاع والتخفي، فكانت مفاجأة اضطربت لها الصفوف وطارت منها النفوس شعاعا فكانت الهزيمة ، لولا أن تدارك رسول الله صلى الله عليه وسلم الموقف فثبت ، وثبت اصحابه معه .. وكانت وقعة حالت دون أنهاء القتال حتى اذا زالت رهبة المفاجأة بدأ المسـلمون يتجمعون لدرء الخطر ورد الهجوم واستعاد المسلمون الموقف وقاموا بهجـوم مضاد انخلعت له قلوب الكفار فأسلموا للفرار .

وتكشف معركة حنين عن دروس هامة في الحرب .

(أولا) ان الجيش ليس بعدده وعدته وانما بمعنويات رجـاله وتطبيق أصول الحرب . ومنها الوقاية ، فالتقدم بغير مقـدمة اعتمادا على التفوق العددي ـ كانت نتيجته الوقوع في المفاجأة ! =

وبعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعرى فأدرك من الناس بعض من انهزم فناوشوه القتال فرمى بسهم فقتل فأخذ الراية أبو موسى الأشعرى ــ وهو ابن عمه ــ فقاتلهم ففتح الله عليه وهزمهم .

وقد قتل أبو عامر منهم تسعة مبارزه ثم برز العاشر معلما بعمامة صفراء فضرب أبا عامر فقتله .

واستمر القتال فى بنى نصر بن معاوية ثم فى بنى رئاب . ووقف مالك بن عوف على ثنية من الثنايا حتى مضى ضعفاء أصحابه وتتام آخرهم ثم هرب .

وكان السبى ستة آلاف رأس والابل أربعة وعشرون ألفا والغنم أكثر من أربعين ألف شاة وأربع آلاف أوقية فضة .

= (ثانيا) أهمية الروح المعنوية . فثبات فريق من الجيش عند الهزيمة منع النهاية وحال دون الاندحار . وبثبات هذا الفريق أمكن صد العدو واعطاء الفرصة لباقى الجيش لمعاودة القتال .

(ثالثا) شدة وقع المفاجأة ــ وهى من مبادىء الحرب التى ينبغى توخيها ــ فعندما توخى المسلمون بخصومهم يخرجون من مخابئهم ويهجمون على حين غرة جعل الزمام يفلت منهم فيفرون هناك وهناك مضطربين مسلوبى الارادة حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ! وولوا مدبرين ! .

وقــدم وفد هوازن على رسول الله (صلى الله عليــه وسلم) وهم أربعه عشر رجلا فسألوه أن يمن عليهم بالسبى ومما قيل فى دلك شعرا — وهو لزهير بن صرد الجشمى :

أمنن علينا رسول الله فى كرم ... فانك المرء نرجوه وننتظـــر
أمن على بيضه فد عاقها فدر ... فشتتت شملها فى دهرها عير
أبقت لنا الدهر هتافا على حزن ... على قلوبهم الغماء والغمــر
ان لم تداركهم نعماء تنشرها ... ياأرجح الناس حلما حين يختبر

ونزلت فى حنين:

« لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين .ثم أنزل الله سـكينته على رسـوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين » (١) .

---

(١) الآيتــان ٢٥ ، ٢٦ م النوبه ٩ .

غزوة الطائف

فى شوال سنة ثمان خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من حنين يريد الطائف وقدم خالد بن الوليد على مقدمته ، وقد كانت ثقيف رموا حصنهم وأدخلوا فيه ما يصلحهم لسنة . فلما انهزموا من أوطاس دخلوا حصنهم وأغلقوه عليهم وتهيأوا للقتال .

وسار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فنزل قريبا من حصن الطائف وعسكر هناك فرموا المسلمين بالنبل رميا شديدا كأنه رجل جراد حتى أصيب من المسلمين ناس بجراحة وقتل منهم اثنا عشر رجلا فارتفع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى موضع (مسجد الطائف) اليوم فحاصرهم ثمانية عشر يوما ويقال خمسة عشر يوما ، ونصب عليهم (المنجنيق) وهو أول ما رمى به فى الاسلام .

قال ابن اسحق حتى اذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تحت دبابة (١) ثم زحفوا بها الى جدار الطائف ليخرقوه فأرسلت عليهم ثقيف « سكك الحديد » محماة بالنار . فخرجوا من تحت

(١) مركبة تتخذ من جلود وخشب يدخل فيها الرجال ويقربونها من الحصن لينقبوه .

الدبابه فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالا فأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقطع « أعناب » ثقيف فوقع الناس فيها يقطعون .

ونادى منادى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . ايما عبد نزل الى من الحصن وخرج الينا فهو حر فخرج منهم بضعة عشر رجلا فعتقهم رسول الله (فشق ذلك على أهل الطائف مشــقة جديده) .

واستشار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نوفل بن معاوية الديلى فقال ما ترى . فقال : « ثعلب فى جحر ان أقمت عليــه أخذته وان تركته لم يضررك » .

فلما ارتحلوا واســتقلوا قال : قولوا آيبون تائبون عابدون فأذن فى الناس بالرحيل . فضج الناس من ذلك وقالوا نرحل ولم يفتح علينا الطائف فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاغدوا على القتال . فغدوا فأصاب المسلمين جراحات فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) انا قافلون ان شاء الله فسروا بذلك وأذعنوا وجعلوا يرحلون .

وقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قولوا لا اله الا الله وحده صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .

فلما ارتحلوا واستقلوا قال : قولوا آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون .

وقيل يا رسول الله ادع الله على ثقيف . قال :

اللهم اهد ثقيفا وائت بهم مسلمين .

غزوة تبوك
في شهر رجب سنة تسع

توجه رسول الله (صلى الله عله وسلم) لغزو الروم وكان ذلك فى زمن عسره من الناس وجدب من البلاد وحين طابت التمار فالنــاس يحبون المقام فى تمــارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الدى هم عليه .

وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلما يخرج فى غزوه الا كنى عنها وورى بغيرها الا ما كان من غزوة تبوك ، لبعد الشمه وشدة الزمان .

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لا تنفروا فى الحر .

فأنزل الله فيهم :

(فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رســول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لاتنفروا فىالحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) (١) .

---

(١) الآية ٨١ من التوبة ٩ .

المعنى ان حب السلم والرغبه عن الجهــاد والكســل نال من نفــوس بعض المسلمين حتى حبب اليهم القعود ، فقــال بعضهم لبعض لا نقوم للحرب فى هذا الجو الحار وهم لا يعلمــون ما يكون نصيبهم من حر جهنم أن هم صدوا عن طريق الله والجهاد فى سبيله بأموالهم وانفسهم .

وجد رسول الله في سفره وأمر الناس بالجهاد وحض أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا .

وبلغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ان الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام . وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة .

وسار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في ثلاثين ألفا من الناس والخيل عشرة آلاف فرس ونزل تبوك في زمان قل ماؤها وأتاه يحنة بن رؤبة صاحب ايلة فأعطوه الجزية وكتب لهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كتابا وهو عندهم وكتب للجنة بالمصالحة .

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد
إلى أكيدر دومة

بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خالدا فى أربعمائة وعشرين فارسا سرية الى أكيدر دومة فى رجب سنة سبع بدومة الجندل وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليله .

وقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) انك ستجده يصيد البقر . فخرج خالد حتى اذا كان من حصنه بمنظر العين فى ليلة مقمرة صائفة وجده ونفرا من أهل بيته يركبون الخيل فى مطارد البقر فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأخذته وقتلوا أخاه وقد كان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب . فاستلبه خالد فبعث به الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قبل قدومه عليه . وفيه قال عليه السلام : لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا .

ثم ان خالدا قدم بأكيدر على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فحقن له دمه وصالحه على الجزية ثم خلى سبيله فرجع الى قريته .

ذِكرُ الحَوَادِثِ جُمْلَةً بَعدَ قُدُومِ رَسُولِ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ

في السنة الأولى :

بعث حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين من المهاجرين يعترض عيرا لقريش في رمضان .

وبعث عبيدة بن الحارث في ستين رجلا من المهاجرين الى بطن رابغ .

وبعث سعد بن أبي وقاص الى الخرار في ذي القعدة في عشرين من المهاجرين لعير قريش . وغزوة الأبواء .وغزوة ودان في صفر .

* * *

في السنة الثانية :

غزوة بواط . وغزوة ذي العشيرة . وسرية عبد الله بن جحش الى نخلة . وغزوة بدر الكبرى . وسرية عمير بن عدي . وسرية سالم بن عمير . وغزوة بني قينقاع . وغزوة السويق . وغزوة كركرة الكدر .

* * *

في السنة الثالثة :

السرية لكعب بن الأشرف . وغزوة غطفان . وغروة بنيسليم وسرية زيد بن حارثة الى القردة . وغزوة أحد . وغزوة حمراء الأسد . وسرية أبي سلمة الى قطن . وسرية عبد الله بن أنيس الى سفيان بن خالد بعرفة ، وبئر معونة . والرجيع .

* * *

في السنة الرابعة :

غزوه بنى النضير وبدر الموعد . وذات الرقاع .

* * *

في السنه الخامسة :

عزوه دومة الجندل . وغزوة المريسيع . وغزوة الخـندق . وبنى قريظة .

* * *

في السنة السادسة :

غزوة بنى لحيان . وعزوة الغابة . وسرية عكاشة الى الغمر . ومحمد بن مسلمة الى ذى القصة وبعث أبا عبيدة . وسرية زيد ابن حارثة الى بنى سليم وسرينه الى العيص وسريته الى الطرف وسرينه الى حسمى . وسريته الى وادى القرى . وسرينه الى أم فرفه . وسرية ابن عوف الى دومة الجندل . وعلى الى بنى سعد ابن بكر . وابن عتيك الى ابن رافع . وسرين عمرو بن

أمية الضمرى وسلمة بن أسلم لقتل أبى سفيان بمكة . وعمرة الحديبيه وبيعة الرضوان .

* * *

في السنة السابعة :

غزوة خيبر . وسرية عمر الى تربة . وسرية أبى بكر الى كلاب أو فزارة . وبشير بن سعد الى بنى مرة . وبشير بن سعد الى يمن . وسرية ابن أبى العوجاء الى بنى سليم . وسرية غالب الى بنى الملوح . وسريته الى مذك .

* * *

فى السنه الثامنة :

سرية شجاع بن وهب الى بنى عامر . وكعب بن عمرو الى ذات أطلاح غزوة مؤته . سرية عمر بن العاص الى ذات السلاسل. وسرية الخبط وسرية بن قتادة الى خضرة ثم الى بطن اضم غزوة الفتح سرية خالد بن الوليد الى العزى . وعمرو بن أبى سواع . وسعد بن زيده الاشهلى الى مناة فى رمضان سرية خالد بن الوليد الى بنى جذيمة . غزوة حنين . سرية الطفيل بن عمرو الى ذى الكفين . غزوة الطائف . سرية عيينة بن حصن الى بنى تميم . سرية قطبة بن عامر الى خثعم . بعث الوليد بن عقبه الى بنى المصطلق .

* * *

في السنة التاسعة :

سرية الضحاك الى بنى كلاب . وغزوة تبوك .. وخالد الى آكيدر دومة .

* * *

في السنة العاشرة :

سرية خالد بن الوليد الى بنى عبد المدان بنجران .

حراس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

حرسه يوم بدر حين نام فى العريش سعد بن معاد . ويوم أحد : محمد بن مسلمه . ويوم الخندق : الزبير بن العوام . وفي خيبر : أبو أيــوب الأنصاري . وبوادى القــرى : بلال وسعد بن أبي وقاص وذكوان بن عبد قيس .

* * *

العشره من أصحابه :

١ — أبو بكر .

٢ — عمــر .

٣ — عثمان .

٤ — عــلى .

٥ — طلحة .

٦ — الزبير .
٧ — سعد بن أبى وقاص .
٨ — سعيد بن زيد .
٩ — عبد الرحمن بن عوف .
١٠ — أبو عبيدة عامر بن الجراح .

الفهرس